٥- الأحاديثُ المُخْتَارَةُ في الأَخْلاقِ والآدَابِ
المُسمَّى: «الغَرائِبُ والوِحْدَان»

هذا كِتابٌ فيه جَمٌّ فَوَائدِ … يَهْدي إلى الخُلُقِ الكَرِيمِ الفَاضِلِ

فاحْفَظْ فوائِدَه وأَوْعِبْ جَمْعها … واعمل بها تَسْعَدْ بفوزٍ عاجِلِ

واطلُبْ لكاتِبِهِ صلاحَ مآلِهِ … وعُمُومَ مَغْفَرةٍ بعَفْوٍ هاطِلِ

واللهَ أرجو أن يُجيبَ سُؤْلَنَا … فهو المُجيبُ لكلِّ عبدٍ سائلِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأحد الواحد، الغنيِّ الماجِد، أحمدُه مُستزيدًا نِعمَهُ، وأشكره مُستدفعًا نِقَمَهُ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله فردٌ في أحديَّته، وعزٌّ في فرديَّته، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله، بعثه لهداية الأمَّة، فكشف عن عقولها كلَّ ظُلْمَةٍ، وأزاح عنها كلَّ غُمَّةٍ، صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، صلاةً وسلامًا دائمين إلي يوم الدين، ورضي الله عن آله الأطهار، وصحابته الأبرار.

أمَّا بعد: فهذا كتابٌ جمعتُ فيه بعض الأحاديث التي رُويت في أجزاء غريبةٍ، أو روىٰ حديثًا منها صحابيٌّ ولم يروِ غيره، وجعلته امتحانًا للمشتغلين بعلم الحديث النبويِّ الشريف، يمتحنون به قوة ذاكرتهم، ويعرفون منه مقدار اطِّلاعهم علي كتب الحديث وأجزائه المفردة، فهو مثل باب «الإخبار بالذي والألف واللام» الذي وضعه النحويون في كتب النحو لاختبار ذكاء الطالب، ومعرفة قوة ملاحظته، وسميته: "الأحاديث المختارة في الأخلاق والآداب" المسمَّىٰ "الغرائب والوِحْدَان".

ولا شك أنَّ الاطِّلاع علي كتب الحديث وأجزائه يُفيد المحدِّث فوائد كثيرةً:

منها: معرفة بعض الأحاديث التي يظنُّ بعض الناس أو جُلُّهم أنها لا أصل لها، مثل حديث: «**وَمَن لَغا فلا جُمُعة له**». وقع السؤال عنه عندنا بالمغرب: هل رواه أحدٌ من أصحاب الكتب المسندة؟ وما رتبته[1]؟

---

(١) سبب السؤال عنه أنَّ العادة جرت في المغرب إذا جلس الخطيب علي المنبر يوم

وألَّف فيه الشيخ عبدالحي الكتاني رسالة سمَّاها: "عقد اليواقيت والزبرجد في أنَّ حديث: «**ومَن لغا فلا جمعة له**» مما نقب عنه في الأخبار ولم يوجد"، جزم فيها بأنه لا أصل له معتمدًا على أنَّ الكتب المشهورة لم تذكره ولم تُعرِّج عليه وأطال في عدِّ تلك الكتب مع بيان المخطوط منها والمطبوع.

ثُمَّ وجدنا الحديث مسندًا من حديث ابن عباسٍ[1] بلفظه المسؤل عنه في "تاريخ واسط" للحافظ أسلم بن سهل الواسطيِّ الملقَّب ببحشل، أحد شيوخ الطبرانيِّ. وهو كتابٌ غريبٌ لم يقف عليه الكتاني، ولو وقف عليه لما كتب رسالته السابقة، ولما أكثر فيها من ذكر الكتب التي راجعها لأجل ذلك الحديث.

ومثل جملة: «**وإذا كانت حاجة فافعل مثل ذلك**» في حديث توسل الضَّرير

الجمعة، وأذَّن المؤذِّنون الثلاثة علي المنارة، وقف المُبلِّغ علي دكَّةٍ أمام المنبر، وقال بصوت فيه تطريب: اللهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم وتفضل علي سيِّدنا محمَّدٍ الذي كان إذاتكلَّم كفى، وإذا عاهد وَفَى، وإذا صاحب صفا. ويستمر في ذكرمثل هذه الصِّفات النبوية، ثُمَّ يقول: روى إمامنا مالكٌ، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّي الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمة فقد لغوت**». وفي حديثٍ آخر: «**ومَن لَغَا فلا جمعة له**». أنصتوا رحمكم الله. ثلاث مرات، ثُمَّ يقعد، ويقوم الإمام.

(١) وفي سنده مجالد بن سعيد الهمداني، وهو وإن ضعَّفه يحيي بن سعيد، والدارقطني، فقد وثَّقه النَّسائيُّ، وروى له مسلمٌ مقرونًا، وقال الذهبيُّ في جزء "الدينار من حديث المشايخ الكبار": «حديثه حسنٌ».

حين علمه النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يُصلِّي ركعتين ويقول: «**اللهمَّ إني أسالك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد نبيِّ الرحمة، يا محمَّد إني أتوجَّه بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقضى لي فشفِّعه في**». وجاء في بعض طُرُقه زيادة تلك الجملة، لكن لم تُروىٰ في "سنن الترمذيِّ"، و"ابن ماجه"، ولا في "عمل اليوم والليلة" للنَّسائيِّ، وابن السُّنِّي، ولا في "مستدرك الحاكم"، و"معجم الطبراني". فظنَّ الشيخ رشيد رضا أنها غير موجودةٍ وزعم وضعها، وتحدَّىٰ الشيخ الدجوي أن يأتيه بسندها إن كانت موجودةً[1].

واعتقد كثيرٌ من الناس أنها موضوعةٌ استنادًا لقول الشيخ رشيد، الذي كان في نظرهم من كبار المحدِّثين، ثُمَّ وجدتُها مُسندَةً في "تاريخ ابن أبي خيثمة" الحافظ المشهور، بإسنادٍ صحيحٍ، صحَّحه الحاكم علىٰ شرط البخاريِّ، وسلَّمه الذهبيُّ.

وقد ذكرتها بإسندها في كتاب "الرد المحكم المتين" وفي كتاب "مصباح الزجاجة في فوائد صلاة الحاجة".

ومنها: أن يكون الحديث الوارد في الكتب المشهورة يشتمل علي لفظٍ عامٍّ أو مُطلَقٍ أو مُجمَلٍ أو مُشكِلٍ، فتختلف أنظار العلماء في فهمه، ثُمَّ يتبيَّن بالاطِّلاع علي بعض طُرُقه في أحد تلك الأجزاء تخصيص عمومه، أوتقييد إطلاقه، أو بيان إجماله، أو توضيح إشكاله.

ومنها: تقوية الحديث بتعدُّد طُرُقه، أو دَفْعُ الغرابة والتفرُّد عنه.

---

(١) وذلك في مناظرةٍ بينهما علي صفحات مجلَّتي "المنار" و"الأزهر".

ومنها: معرفة سبب ورود الحديث مثل حديث: «**الأرواح جنودٌ مُجَنَّدةٌ**». رواه مسلمٌ في "صحيحه"، وجاء سبب وروده في كتاب "المزاح والمفاكهة" للزبير بن بكَّار[١].

ومنها غير ذلك ممَّا يظهر بالاطلاع على كتب الحديث.

وقد شرحت الأحاديث التي أوردتها في هذا الكتاب؛ ليكون الإنتفاع به عامًّا، لا يخصُّ طائفةً دون أخري، ولم أقصد فيه الاستيعاب وإنما ذكرت ما تيسَّر الوقوف عليه، وفيه كفايةٌ وبلاغٌ، واللهُ المسؤل أن يبلِّغنا من رضاه مطلوبنا، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) انظر آخر حديث في هذا الكتاب وهو الحديث الخمسون والمائة.

الحديث الأول

قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ائتِ المعروفَ، واجتنب المُنكرَ، وانظر ما يُعجبُ أُذُنَك أن يقولَ لك القومُ إذا قُمْتَ مِن عندهم فأْتِه، وانظر الذي تَكْرهُ أن يقولَ لك القومُ إذا قمتَ من عندهم فاجْتَنِبْه**».

رواه البخاريُّ في "الأدب المفرد"، والبغويُّ في "المعجم"، والباورديُّ في "معرفة الصحابة" عن حرملة بن عبدالله بن أوس، ولم يروِغيره.

«**ائتِ المعروفَ، واجتنب المُنكرَ**»: كلمتان جامعتان، فالمعروف: كل ما يُقرُّه الشرع من خيرٍ ينفع به المسلم نفسه كالصلاة، أو إخوانه كالصدقة، وإغاثة الملهوف.

والمنكر: كلُّ عملٍ لا يُقرُّه الشرع كالقمار، وشرب الخمر، وإيذاء الناس باليد أواللسان.

والمسلم لابدَّ له من هذين، لا غنىٰ له عنهما، بإتيان المعروف يتحلَّىٰ بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وباجتناب المنكر يتخلَّىٰ عن المعاصي والرذائل.

«**وانظر ما يُعجبُ أُذُنَك أن يقولَ لك**» أي عنك «**القومُ إذا قُمْتَ مِن عندهم فأْتِه**» فإذا بلغك عنهم أنهم يقولون عنك: فلانٌ عنده نجدة يغضي عن الحرمات، ولا يتتبَّع العوارت، ونحو هذا، فافعل ما أثنوا عليك به، فإنه من المعروف المطلوب فعله.

كان أبو حنيفة الإمام مارًّا في طريقٍ، فسمع صبيانًا يقول بعضهم لبعضٍ: هذا أبو حنيفة لا ينام الليلَ؛ فداوم علىٰ قيام الليل منذ تلك اللحظة.

«**وانظر الذي تَكْرهُ أن يقولَ لك**» أي عنك «**القومُ إذا قمتَ من عندهم**

فاجْتَنِبْه» فإذا بلغك أنهم يقولون عنك: فلان بخيلٌ، أوكذَّابٌ، أوحقودٌ، أو مخادعٌ، ونحو هذا فاجتب ما ذمُّوك به؛ لأنه من المنكر الواجب اجتنابه.

ويشترط في القوم الذين يُثنون عليك بمعروفٍ فتأتيه، أو يذمُّونك بمنكرٍ فتجتنبه: أن يكونوا أهل صلاحٍ وخُلُقٍ قويمٍ، ذوي معرفةٍ بما يُقرُّه الدِّين، وبما يُنكره. ومثل هؤلاء إذا أثنوا علىٰ ميت خيرًا وجبت له الجنَّة، وإذا أثنوا عليه شرًّا وجبت له النَّار، كما ثبت في الصحيح عن عمر رضي الله عنه.

وأغلب الناس اليوم الذين يستحسنون من الشخص أمورًا يُنكرها الدِّين لجهلم بأحكامه، ولانحراف أخلاقهم، فلا عبرة بثنائهم، ولا بذمِّهم لأنَّنا في زمنٍ صار فيه المعروف مُنكرًا، والمنكر معروفًا

الحديث الثاني

عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**أبو بكرٍ وعمر منِّي بمنزلة السمع والبصر من الرأس**».

رواه أبو يعلىٰ من طريق عبد المطلب بن عبدالله بن حنطب، عن أبيه، عن جدِّه، ولم يروِ غيره. قاله الحافظ ابن عبدالبر.

هذا الحديث يُفيد مزيَّة الشيخين رضي الله عنهما، ويُبين قرب منزلتهما من النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، بحيث إنه لايستغني عنهما، كما لا يستغني الرأس عن السمع والبصر، وتلك منزلةٌ عظيمةٌ تليق بما قدَّما لله ولرسوله من نصيحةٍ وإخلاصٍ، وبما بذلا في سبيل دينه من مالٍ وجهدٍ وجهادٍ، ويكفيهما شرفًا أنهما ضجيعا النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في روضته المطهَّرة.

الحديث الثالث

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أُحدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه**». رواه أحمد والضياء المقدسيُّ عن سويد بن عامرٍ الأنصاريِّ، ولم يروِ غيره.

«**أُحُدٌ**» بضمِّ الهمزة والحاء: جبلٌ بضواحي المدينة المنوَّرة، وقعت فيه الغزوة المشهورة بغزوة أُحُدٍ، وهي مذكورةٌ في القرآن، استشهد فيها حمزة رضي الله عنه، ونزل فيها جبريل وميكائيل فكانا علىٰ يمين النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعن يساره يقاتلان عنه أشدَّ المقاتلة، رآهما سعد بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه، ثبت ذلك في الصحيحين.

وجبل أُحُدٍ يحمل اسمه حروف الأحدية، ويضمُّ جوفه شهداء المسلمين الموحِّدين، فلا غَرْوَ أن كان يُحبُّ سيد الموحِّدين وصحبه الكرام كما أفاده الحديث[1].

ويوخذ منه قيام الحب بالجهاد، ولا مانع من ذلك عقلًا، وقد ثبت في الحديث الصحيح: أنَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أول ما جاءته الرسالة كان لا يمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ في مكَّة المكرَّمة إلَّا قال له: السَّلام عليك يا رسول. سمع ذلك عليُّ بن أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه، فالذي أنطق الحجر قادرٌ أن يضع فيه الحبَّ أوالبغض.

---

(١) وروىٰ أحمد، والبخاريُّ، والترمذيُّ، وابن ماجه عن أنس بن مالكٍ -رضي الله عنه- قال: صعد النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأبو بكر وعثمان رضي الله عنهم جبل أُحُدٍ، فرَجَفَ بهم فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اثبت أُحُدُ؛ فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيق وشهيدان**». كانت رَجْفة أحدٍ هزَّة فرحٍ وسرورٍ بأكرم أهل الأرض.

الحديث الرابع

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أتاكم مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ ودينه فزوِّجُوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عَرِيضٌ**». رواه الترمذيُّ، والبيهقيُّ في سننيهما عن أبي حاتم المزنيِّ، ولم يروِ غيره.

«**إذا أتاكم مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ ودينه**» أي: إذا أتاكم شخصٌ يخطب منكم بنتًا لكم، يُريد أن يتزوَّجها، وكان مستقيم الخُلُق، متين الدِّين، فأجيبوا طلبه وزوِّجوه.

ويؤخذ منه أنَّ الكفاءة في الزواج تُعتبر بالدين، والخُلُق، لا بالمال ولا بالحسب، وقد زوَّج النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بنت عمَّته زينب بنت جحش لمولاه زيد، ولم يُطلِّقها إلَّا لتعاليها عليه بنسبها وحسبها.

«**إلَّا تفعلوا**» بأن لم تزوِّجوه «**تكن فتنةٌ في الأرض**» بمنع الكُفْء من الزواج، وعضل البنت وربَّما تُحاول الاتصال به بطريقٍ غير شرعيٍّ. «**وفسادٌ عَرِيضٌ**» بردِّ صاحب الخلق والدين عن طلبه، وبتأخير زواج البنت مع أنه يطلب التعجيل بزواجها إذا جاءها خاطبٌ كفءٌ.

وهذه إحدي المسائل التي يجب التعجيل بها.

والثانية: الميت إذا تتحقَّق موته عُجِّل بدفنه.

والثالثة: إذا حضر الضيف عُجِّل له القِرَىٰ.

والرابعة: إذا حلَّ أجل الدَّين وجب التعجيل بوفائه.

والخامسة: إذا حصل ذنبٌ وجب التعجيل بالتوبة منه.

ويؤخذ من الحديث أيضًا جواز الاقتباس من القرآن الكريم، وأنه لا يلتزم فيه لفظ الآية.

الحديث الخامس

عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أراد الله بعبدٍ هَوَانًا أنفق ماله في البُنيان والماء والطِّين**». رواه البغويُّ في"معجم الصحابة"، والبيهقيُّ في "الزهد"، عن محمَّد بن بشيرٍ الأنصاريِّ، ولم يروِ غيره.

«**إذا أراد الله بعبدٍ هونًا**» في دينه وآخرته «**أنفق ماله في البُنيان والماء والطين**» فيبني من البيوت زيادةً علىٰ ما يكفيه ويكفي أسرته؛ لأنه إسرافٌ وتضيعٌ للمال فيما لا يعود عليه بفائدة دينية ولا دنيوية إلَّا التفاخر، وهو ممنوعٌ. نعم إذا بنىٰ بيوتًا ليسكنها الناس بأجرةٍ، فهذا نوعٌ من التجارة مباحٌ لا يُذمُّ عليه.

الحديث السادس

عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الزموا هذا الدعاء: اللهمَّ إني اسألك باسمك الأعظم، ورضوانك الأكبر. فإنه اسمٌ من أسماء الله**». رواه الطبرانيُّ عن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

«**اللهمَّ إني أسألك باسمك الأعظم**» اختلف العلماء في تعيين اسم الله الأعظم علىٰ أقوالٍ كثيرةٍ ذكرها الحافظ السيوطيُّ في رسالة "الدر المنظم في اسم الله الأعظم". فقيل: الله، وقيل: رب، وقيل: الحيي القيوم، وقيل: بديع السموات والأرض، وقيل: اللهمَّ، وقيل:هو، وقيل: غير ذلك.

«**ورضوانك الأكبر**» وهو رضاه عن أهل الجنَّة رضًا لا يسخط بعده أبدًا، وهذا استفتاح دعاء يدعو الشخص بعده بحاجته بأن يقول: أن تغفر لي، أو تُفرِّج كربي، أوتختم لي بالإيمان، أو نحو ذلك.

الحديث السابع

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله وَضَعَ عن المسافر الصَّومَ، وشَطْر الصَّلاة**». رواه أحمد، والأربعة عن أنس بن مالك القشيريِّ، ولم يروِ غيره.

«**وَضَعَ عن المسافر الصَّومَ**»: يعني أنه لايجب علىٰ المسافر صوم رمضان ما دام مسافرًا، بل يفطر ثُمَّ يقضي الأيام التي أفطرها بعد رمضان، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وهل يُستحبُّ له الصوم أو الإفطار؟ قال العلماء: إن كان عليه في السفر مشقَّةٌ فيستحبُّ له الإفطار، بل يجب إذا كانت المشقَّة شديدةً يخاف منها الهلاك علىٰ نفسه، وإن كان لامشقَّة عليه في سفره استحبَّ له الصوم.

وقال الظاهرية: يجب الفطر علىٰ المسافر، ولو صام لم يصح صومه واستدلوا بالآية المذكورة؛ لأنَّ قوله تعالىٰ: ﴿فَعِدَّةٌ﴾ مصدرٌ وقع في جواب الشرط وهو يقتضي وجوب قضاء أيامٍ أُخَر، وما ذاك إلَّا لوجوب الفطر في السفر، وبالحديث الصحيح: «**ليس من البرِّ الصيام في السفر**».

وأجاب الجمهور عن الآية بأنَّ فيها حذفًا دلَّ عليه السِّياق، والتقدير ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾وأفطر﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. وعن الحديث بأنَّ سبب وروده أنَّ رجلًا كان مسافرًا وشقَّ عليه الصوم حتىٰ أُغمي عليه، ولا شك أنَّ مَن بلغ به الجهد إلىٰ هذه الحالة وجب عليه الفطر بلا خلاف.

وقد صحَّ في الحديث عن أنسٍ أنَّ الصحابة كانوا في سفرٍ مع النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فمنهم الصائم ومنهم المفطر فلم يعب الصائم علىٰ المفطر، ولا المفطر علىٰ الصائم.

هذا ولا يُشترط في السفر أن يكون شاقًّا بالفعل، فمن سافر في القطار أو الأتوبيس أو الطائرة وهو صائمٌ فله أن يُفطر ويأخذ برخصة الله التي رخَّصها له، بل يُستحبُّ ذلك لحديث: «**إنَّ الله يُحبُّ أن تؤتى رُخَصه كما يُحبُّ أن تُؤتَى عزائمه**». صحَّحه ابن حِبَّان.

«**وشَطْر الصَّلاة**»: أي وَضَعَ عن المسافر نصف الصلاة الرباعية، فيُصلِّي الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين حتىٰ يعود من سفره.

ويشترط في السفر الذي يترخَّص فيه بالفطر وقصر الصلاة أن يكون سفرًا مشروعًا، كالسفر لحجٍّ أو صلة رحمٍ، أو زيارة أصدقاء، أو لتجارةٍ، أو لصيدٍ مباحٍ. أمَّا السفر المحرَّم كالسفر لصيد الخنازير والسباع البرية، أو لإذاية مسلمٍ أو الوشاية به، أو سفر المرأة بغير إذن زوجها، فلا يجوز فيه الفطر ولا قصر الصلاة؛ لأنه عصيانٌ لله فلا يترخَّص فيه برخصة الله.

الحديث الثامن

عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قابلو النِّعال**». رواه البغويُّ في "معجم الصحابة"، والطبرانيُّ وأبو نعيمٍ عن إبراهيم الطائفيِّ ولم يروِ غيره.

يُشير الحديث إلي أدبٍ من آداب مجتمعنا الإسلاميِّ العربيِّ، فإنَّ الشخص إذا حضر اجتماعًا في مسجدٍ أو بيتٍ، أو أجاب دعوةً لحضور وليمةٍ أو غيرها،

فإنه يخلع نعليه عند الباب، وينبغي له أن يُقابل بينهما، بأن يضع سفل أحدهما على سفل الأخرى، ويضعهما في مكان مُعَدٍّ للنعال، ومن هنا تعلم أنَّ الإسلام لم يدع ناحيةً من نواحي الآداب العامَّة، ولو صغيرة كهذه، إلَّا أرشد إليها وحضَّ عليها.

الحديث التاسع

قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا قضى الله لعبدٍ أن يموت بأرضٍ جعل له إليها حاجةً**». رواه الترمذيُّ من طريق أبي إسحاق السَّبيعيِّ، عن مطر بن عُكَامِسٍ، وقال: «حديثٌ حسنٌ ولا يُعرف لمطرٍ غيره».

«**جعل له إليها حاجةً**» يعني أنَّ الله تعالى إذا قضى لشخصٍ أن يموت في بلدٍ جعل له حاجةً فيها، كزيارة صديقٍ، أو رغبةٍ في تجارةٍ، أو نحو ذلك، حتى إذا وصل إليها تُوفي ودُفن فيها.

وهذه إحدى المسائل الخمس التي اختص الله بعلمها قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

فإن قيل: حاول الناس في هذا العصر معرفة المطر قبل نزوله بآلات استُحدثت لذلك كما اخترع بعض الأطباء علاجًا يُعرف به نوع الجنين في الرَّحِم أذكرٌ هو أم أنثى، فهل يرد هذا على الآيه المشار إليها؟

فالجواب: أنه لا يرد، وبيان ذلك من وجوهٍ:

الأول: أنَّ لفظ الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ

تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

غايرت الأسلوب في عَدِّ هذه المسائل، فجعلت علم الساعة خاصًّا بالله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ فقطعت الأطماع عن الوصول إلى علمها وأغلقت الباب في وجه من يريد ذلك، ونفت الدراية عن كسب الغد، والأرض التي يحصل بها الموت ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ إشارةً إلى أنه لا طريق لدرايتهما[1].

وأثبتت علم الله بما في الأرحام إشارةً إلى أنَّ غيره إن وصل إلى معرفة ذلك بعلاماتٍ أو علاجٍ أو آلاتٍ فلن تتجاوز معرفته حدَّ الظنِّ والتخمين، كما أنَّ عبارة ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ تُشير إلى إمكان معرفة وقت نزوله.

الثاني: أنَّ الآية تُفيد علم الله بهذه المسائل تفصيلًا علمًا شاملًا في جميع الأزمان والحالات فلا يُنافي أن يعرف بعض الناس بعضها في بعض الحالات وبعض الأزمنة معرفةً جزئيةً.

الثالث: أنَّ المقصود بالآية إبطال ما كان أهل الجاهلية يسلكونه من كهانةٍ وعرافةٍ وعيافةٍ وضربٍ بالحصى لاستطلاع الغيب، ومعرفة الأحداث المستقبلية، ولا يُنافي أن يُلهم الله بعض الناس معرفة بعضها بطريق الإلهام، أو بطريقٍ من الطرق العلمية الحديثة.

---

(١) بالطرق المعهودة، لكن يمكن درايتها بطريق الوحي أو الإلهام على سبيل المعجزة أو الكرامة.

الحديث العاشر

عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الدنيا سبعة آلاف سنةٍ، أنا في آخرها ألفًا، لانبيَّ بعدي، ولا أُمَّة بعد أُمَّتي**». رواه الطبرانيُّ عن عبدالله بن زِمّلٍ، وليس له غيره.

هذا الحديث يُفيد أنَّ عمر الدنيا منذ عهد آدم عليه السَّلام إلىٰ يوم القيامة سبعة آلاف سنةٍ، واعتمده الحافظ السيوطيُّ في رسالة "الكشف عن مجاوزة هذه الأمَّة الألف" ردَّ بها علىٰ من زعم أنَّ الساعة تقوم علىٰ رأس المائة العاشرة للهجرة، ورجَّح أنَّ قيام الساعة لا يتجاوز المائة الخامسة بعد القرن العاشر الهجري، وكذلك نقل عن الشيخ عبدالسَّلام الأسمر أنه قال: لا تجئ سنة خمسمائة وألف هجرية، حتىٰ يكون فريقٌ في الجنَّة وفريقٌ في السعير.

ونحن الآن في أواخر القرن الرابع عشر الهجري أي في سنة (١٣٨٨)، ولم تظهر علامةٌ من علامة الساعة الكُبرىٰ التي ثبتت في الصحيح، فلم يصح كلام السيوطي، ولا كلام الشيخ عبدالسلام الأسمر، والحقُّ أنَّ الساعة لا يعلم إلَّا الله متىٰ يكون وقت قيامها: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]. والحديث المذكور ضعيفٌ لا يصحُّ اعتماده، وعمر الدنيا أكثر من سبعة آلاف سنةٍ بكثيرٍ، ومن الناس من يبلغ بعمرها بضعة آلاف مليون سنةٍ[١].

---

(١) لا مانع أن يكون عمر الدنيا منذ خلقها الله تعالىٰ عدَّة ملايين من السنين، أمَّا مدَّتها منذ سكنها آدم أبو البشر عليه السَّلام فما أظنها تبلغ أو تزيد عن خمسين ألف سنة؛ لأنَّ مقدار يوم القيامة خمسون ألف سنة، وهو يعادل مدَّة مكث بني آدم علىٰ ظهر الأرض.

الحديث الحادي عشر

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتاني جبريل فقال: يا محمَّد كن عجَّاجًا بالتلبية، ثجَّاجًا بنحر البُدْن**». رواه القاضي عبدالجبار في "أماليه".

العجُّ بتشديد الجيم: رفع الصوت. والمعنىٰ: رفَّاعًا لصوتك بالتلبية، واجهر بها وهي: «لبيك اللهمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». وهي من شعائر الحجِّ.

والثجُّ بتشديد الجيم: إسالة دماء الهَدْي. **والبُدْن** بضمٍّ الباء والدال وبتسكينها أيضًا: جمع بَدَنة وهي الناقة. والمعنىٰ: كن سيَّالًا لدماء الهدايا في الحجِّ.

ولَّما حجَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حجَّة الوداع أهدىٰ للبيت مائة بَدَنة، نحر منها ستين بنفسه، ونحر سائرها عليٌّ عليه السَّلام.

الحديث الثاني عشر

عن طليب بن عرفة قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اتقِ الله في عُسْركَ ويُسْرِكَ**». رواه أبو قُرَّة الزَّبيديُّ في "سننه".

«**اتق الله**» أي: اجعل بينك وبين غضبه وقايةً، وتلك الوقاية ذات شقَّين: فعل الطاعات، واجتناب المعاصي. وأيُّ تقصيرٍ في أحد الشقَّين يؤدِّي إلىٰ خللٍ في الوقاية وإضعافها، فيقع المقصِّر في غضب الله وعقابه، وأصل التقوىٰ اتقاء الشِّرك الظاهر بالتوحيد، والخفيِّ بالإخلاص، ثُمَّ اتقاء المعاصي بفعل

الطاعات، ثُمَّ اتقاء الشُّبهات بالورع.

«في عُسْرك ويُسْرك» أي: اتق الله في جميع أحوالك؛ لأنَّ الإنسان إمَّا في عُسْرٍ أو في يُسْرٍ لا يخلو من أحدهما: فإذا اتقى الله في حال عسره يسَّر الله له قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]. وإذا اتقاه في حال يُسْره أعظم أجره ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

الحديث الثالث عشر

عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدِّه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتقوا زلَّة العالم، وانتظروا فَيْئَتَهُ**». رواه الحلوانيُّ في "جزئه".

العالم قد يَزِلُّ لأنه ليس بمعصومٍ، وإنما العصمة للإنبياء والملائكة عليهم السَّلام. وقد يكون زَلَل العالم في عقيدته، كما نُقل عن كبار التابعين قولٌ في القدر يوافق المعتزلة، وفي المعتزلة علماءٌ كبارٌ زلُّوا في عقيدهم، وكما وقع من إمام الحرمين كلامٌ في علم الله تعالى كان زلَّةً منه كبيرةً، وقد يكون زلل العالم في عمله بأن يرتكب معصيةً جهارًا أو بتأويلٍ.

وقد نقل عن جماعة من كبار(١) علماء أهل السُّنَّة ترك الصلاة وأكل مال اليتيم، ونحو ذلك، ولا داعي لذكر أسماءهم، وإنما نرجو الله أن يغفر لهم، ويغفر لنا معهم.

---

(١) فيهم فقهاء وحفَّاظ وأصوليون، ولهم مؤلفاتٌ لها قيمتها العلمية في البحث والتحقيق.

فإذا زلَّ العالِم فعلىٰ العامَّة أن يحذروا زلَّته ولا يتخذُّوها حجَّةً فيفعلوا مثلها بدعوىٰ أنَّ العالِم ارتكبها، فإنَّ ذلك لا يعفيهم من عقابها عند الله تعالىٰ، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

«**وانتظروا فَيْئَتَهُ**» أي ترقَّبوا رجوعه وتوبته، فإنَّ معه مِن العلم ما يحمله علىٰ الإسراع بالتوبة، إلَّا إن كان زللـه عن هوىٰ، فمن الصعب رجوعه[1] ما لم يتداركه الله بلطفه.

الحديث الرابع عشر

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اجتنبوا التكبُّر، فإنَّ العبد لا يزال يتكبَّر حتى يقول الله تعالى: اكتبوا عبدى هذا في الجبَّارين**». رواه ابن لال في "مكارم الأخلاق"، وعبدالغني بن سعيد في "إيضاح الإشكال".

التكبُّر: احتقار الناس وازدراؤهم، ودفع الحقِّ وعدم قبوله. وهو خُلُقٌ ذميمٌ لا يتَّصف به إلَّا من يشعر بنقصٍ ومهانةٍ، وقد جعله الشارع من الكبائر، وأوجب فيه النار.

ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: قال الله تعالىٰ: «**الكبرياء رِدَائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار**».

«**اكتبوا عبدي هذا في الجبَّارين**»: أي المتكبِّرين الذين يُحشرون يوم القيامة

---

(١) لأنه يرىٰ نفسه مصيبًا، فكيف يرجع عن الصواب إلىٰ الخطأ!!

في صورة الذَّرِّ[١]، يطؤهم الناس بأقدامهم لتعاليهم في الدنيا على الناس.

الحديث الخامس عشر

عن عليٍّ -عليه السَّلام- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اجتنبوا ما أَسْكَرَ**». رواه الحلوانيُّ في "جزئه".

«**اجتنبوا ما أسكر**»: أي اجتنبوا المُسْكِر لا تشربوه قليلًا كان أو كثيرًا؛ للحديث الصحيح المشهور: «**ما أَسْكَرَ كَثيره فقَلِيلُهُ حرامٌ**». وفي لفظٍ آخر صحيحٌ أيضًا: «**ما أسكر الفَرَق منه فملء الكفِّ منه حرامٌ**». الفَرَق بفتح الفاء والراء: مِكيالٌ يسع ستة عشر رطلًا. وشُرْبُ المسكِر من الكبائر، وفيه الحدُّ وهو ثمانون جلدةً. وانظر كتابنا: "واضح البرهان على تحريم الخمر في القرآن" ففيه مباحث نفيسة تتعلَّق بالخمر وبسائر المُسكِرات، كالبيرة والبُوظة والخمير.

الحديث السادس عشر

عن سلمان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اجعل بين أَذَانِكَ وإقامَتِكَ نَفَسًا؛ حتَّى يقضي المتوضِّئُ حاجَتَه في مَهَلٍ، ويَفْرُغُ الآكلُ مِن طعامه في مَهَلٍ**». رواه أبو الشيخ في كتاب "الأذان" بإسناده عن سلمان. ورواه بإسنادٍ آخر عن أبي هريرة.

يشتمل الحديث على حكمٍ من أحكام الأذان، وهو أنَّ المؤذِّن إذا فرغ من أذانه لايُسرع بإقامة الصَّلاة، بل ينتظر بمقدار ما يقضي المتوضِّئُ حاجته إذا كان في بيت الخلاء، ويتوضَّأ في مَهَلٍ بلا استعجالٍ، ويفرغ الآكل من طعامه في

---

(١) يحشر الله المتكبِّرين بأجسامهم كاملةً، إلَّا أنها مصغَّرة في حجم الذرَّة.

مَهَلٍ بلا استعجالٍ، والحكمة في ذلك تكثير الجماعة بانتظار من يأتي إليها، ودخول المُصلِّي في صلاته بخشوعٍ ليس مشغولًا بطعامٍ، ولا بقضاء حاجةٍ؛ ولذا ثبت في الصحيح: «**إذا حَضَرَ العَشَاءُ وأُقيمت الصَّلاة، فابدءوا بالعَشَاءِ**»(١). وفي الصحيح أيضًا: «**لا صلاة بحضرة طعامٍ، ولا وهو يدافعه الأَخْبَثان**».

وانتظار المؤذِّن بعد الأذان مطلوبٌ في جميع الصَّلوات حتىٰ المغرب، ومعظم الناس في مصر يُعجِّلون بصلاة المغرب عقب الأذان مباشرةً، ولا ينتظرون متوضِّأً ولا غيره، ويحتجُّون بقولهم: «المغرب جوهرةٌ فالتقطوها». يعتقدونه حديثًا نبويًّا مع أنه ليس بحديثٍ، ولا أصل له. والمُصرَّح به في كتب الفقه: أنَّ المساجد التي يقصدها الناس، يُستحبُّ أن تؤخَّر فيها الصَّلاة بعد الأذان، ريثما يحضر المصلُّون. بخلاف الزَّوايا والرُّبُط التي لا تُقصد فلا بأس علىٰ المقيمين بها أن يُعجِّلوا بالصَّلاة.

الحديث السابع عشر

عن عائشة -رضي الله عنها- عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**احذروا الشُّهرتين: الصُّوف، والخَزُّ**». رواه أبو عبدالرحمن السُّلميُّ في "سنن الصوفية".

ثبت النهي عن ثوب الشهرة، فعن أبي ذرٍّ -رضي الله عنه- قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ لَبِسَ ثوبَ شُهْرَةٍ أَعرض اللهُ عنه حتَّى يَضَعَهُ متي وَضَعَهُ**». رواه ابن ماجه في "سننه"، والضياء في "المختارة".

وفي "سنن أبي داود"، و"ابن ماجه" من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

---

(١) أما قولهم: «إذا حضر العَشَاءُ والعِشَاءُ فابدءوا بالعَشَاء». فليس بحديثٍ.

«مَنْ لَبِسَ ثوبَ شُهْرَةٍ أَلبسهُ اللهُ يوم القيامةِ ثوبًا مِثله، ثُمَّ يُلْهِبُ فيه النَّار».

ثوب الشُّهرة: هو الثوب الذي يلفت النظر لكونه شعار الزهَّاد والصُلحاء، كثياب الصُّوف؛ فإنَّ الناس يعتقدون في لابسها الزهد والصلاح، ويقصدونه للتبرُّك به، وطلب دعائه، أو لكونه شِعار العلماء كالجُبَّة والعِمامة، فإنَّ الناس يظنُّون لابسها من أهل العلم ويستفتونه في بعض أمور دينهم، وبعض الناس يلبس عِمامة خضراء ليوهم أنه من أهل البيت، حيث صارت العِمامة الخضراء علامةً عليهم عند المشارقة، فكلُّ من لبس ثوبًا يلفت نظر الناس، ويحملهم على أن يظنوه صالحًا، أو زاهدًا، أو عالمًا، أو شريفًا مُنسبًا، أو نحو ذلك عوقب بأمرين:

١ - إعراض الله عنه في الدنيا حتى ينزعه، ولا يعود إلى لبسه.

٢ - إلباسه مثل ذلك الثوب في الآخرة، وإلهاب النَّار فيه، فيشتعل ويحرقه.

فإن لبس ثوب شهرةٍ لغلائه كالثياب الحريرية، أو المخصوصة بالذهب فإنه يُعاقب العقاب المذكور مضافًا إليه عقاب لبس الحرير أو الذهب المحرَّم، وعقاب إظهار الحرام والتباهي به.

الحديث الثامن عشر

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ -رضي الله عنه- قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«أحسنوا إذا وَلِيتُم[1]، واعفوا عمَّا مَلَكْتم»**. رواه ابن لال "في مكارم الأخلاق".

---

(١) بفتح الواو وكسر اللام وضمِّ التاء.

اشتمل الحديث على خصلتين من مكارم الأخلاق:

١- «**أحسنوا إذا وَلِيتُم**» يعني أنَّ الإنسان إذا وَلِي أمر الناس -خليفةً كان أو ملكًا أو عمدةً أو شيخ بلدٍ مثلًا- فيجب عليه الإحسان إلى الناس في معاملتهم، بأن يرفق بهم ولا يشق عليهم. ففي "صحيح مسلم" عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ مَنْ وَلِيَ مِن أمر أُمَّتي شيئًا فشَقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه، ومَنْ وَلِيَ مِن أمر أُمَّتي شيئًا فرَفَقَ بهم فارفُقْ به**».

٢- «**واعفوا عمَّا ملكتم**»: يعني أنَّ الإنسان إذا كان له رقيقٌ، فليعامله بكرمٍ ولطفٍ، وليعفوا عن هفواته مرةً ومرتين وثلاثًا.

ففي "صحيح مسلم" عن أبي مسعودٍ البدريِّ -رضي الله عنه- قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط فسمعت صوتًا من خلفي: «**اعلم أبا مسعودٍ**» فلم أفهم الصوت من الغضب فلمَّا دنا منِّي، إذا هو رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعودٍ أنَّ الله عزَّ وجلَّ أقدر عليك منك على هذا الغلام**». فقلت: يا رسول الله هو حُرٌّ لوجه الله تعالى فقال: «**أما لو لم تفعل لمسَّتك النَّار**».

وبعث النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خادمة له في أمرٍ فتأخَّرت عنه كثيرًا، حيث وقفت في بعض الشوارع تنظر إلى لعب الصبيان حتى استعجلتها أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة رضي الله عنها، فلمَّا جاءت قال لها النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو يُشير إلى سواكٍ بيده: «**أما والله لولا خوف القِصَاصِ يوم القيامة لأوجعتك بهذا السِّواك**».

الحديث التاسع عشر

عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله أدَّبني فأحسن تأديبي، ثُمَّ أمرني بمكارم الأخلاق، فقال: خُذِ العَفْوَ، وأمر بالعُرْفِ، وأعرض عن الجاهلين**». رواه أبو سعد بن السمعاني في "أدب الإملاء".

«**إنَّ الله أدَّبني فأحسن تأديبي**» أي: تولَّى تربيتي وتهذيبي، فكان خيرًا لي من والدي. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[الضحى:٦]،﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٣].

والسِّرُّ في ولادته يتيمًا: أن يكون مُنذ نشأته معتمدًا علىٰ الله، لا يقول يا أمَّاه ولا يا أبتاه. «**خذ العَفْوَ**» أي: خُذ الميسور من أخلاق الرجال، ولا تستقص عليهم، ويقول الشاعر العربي:

ولستَ بمُستَبقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ علىٰ شَعَثٍ، أيُّ الرجال المُهذَّبُ؟

فكان عليه الصَّلاة والسَّلام يصبر علىٰ جفوة الجافي، ويغضُّ عن هفوة الجليس. «**وأمر بالمعروف**» أي: مُر بالمعروف من الأخلاق الفاضلة، والأفعال الكريمة كالصَّلاة والصِّدق والعفاف والبرِّ والصِّلة والصَّبر. «**وأعرض عن الجاهلين**» أي: أعرض عن السُّفهاء لا تُقابلهم بمثل سفاهتهم.

قال جعفر الصَّادق عليه السَّلام: «ليس في القرآن آيةٌ أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية».

الحديث العشرون

عن عبدالرحمن بن غنم قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**سلَّم عليَّ مَلَكٌ ثُمَّ قال لي: لم أزل أستأذن ربِّي عزَّ وجلَّ في لقائك حتى كان هذا أوان أذن لي، وإني أُبشِّرك أنه ليس أحدٌ أكرم على الله منك**». رواه ابن عساكر في "تاريخه".

يفيد أنَّ الملائكة كانوا يسأذنون الله تبارك وتعالىٰ في زيارة النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والتشرُّف بلقائه؛ لعلمهم بفضيلته عند الله وكرامته لديه. «**ليس أحدٌ أكرم على الله منك**» يفيد أفضليَّة النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الملائكة، وهو إجماعٌ، إلَّا ما كان من خلاف شاذٍّ لا يُعمل به. وانظر كتابنا "دلالة القرآن المبين علىٰ أنَّ النَّبي أفضل العالمين" تجد فيه الدلائل مبسوطةً واضحةً.

الحديث الحادي والعشرون

عن أبي هريرة قال: أخبرني أنس بن مالكٍ: «أنَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يُشير في الصَّلاة». رواه الطبرانيُّ، وقال: «لا نعلم روىٰ أبو هريرة عن أنس غير هذا الحديث»[1].

---

(١) فيه من لطائف الإسناد: رواية صحابيٍّ عن صحابيٍّ، وكلاهما من حُفَّاظ الصحابة السبعة المجموعين في قول الشاعر:

سبعٌ مِن الصَّحْبِ فَوْقَ الألفِ قد نَقَلُوا ... عن النَّبي المصطفىٰ المُختار خير مُضَر

أبو هريرة سعدٌ جابرٌ أنسٌ ... صِدِّيقةٌ وابن عبَّاسٍ كذا ابن عُمَر

سعد: هو أبو سعيدٍ الخدريُّ، والصِّدِّيقة: هي عائشة، وأحفظ هؤلاء السبعة أبو هريرة رضي الله عنه.

كان يُشير في الصَّلاة برأسه أن نعم، أو بيده: أن انتظر، ونحو ذلك، وهو يفيد أنَّ مثل هذه الإشارة لاتُبطل الصَّلاة، ولاتُنافي الخشوع.

الحديث الثاني والعشرون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصالٍ: حبِّ نبيِّكم، وحبِّ أهل بيته، وقراءة القرآن، فإنَّ حَمَلَةَ القرآن في ظلِّ الله يوم لا ظلَّ إلَّا ظِلُّه مع أنبيائه وأصفيائه»**. رواه أبونصر عبدالكريم الشيرازي في "فوائده".

«أدِّبوا أولادكم» ونَشِّؤوهم **«على ثلاث خصالٍ: حبِّ نبيِّكم»** لقِّنوهم فضائله، وعلِّموهم ما له من فضلٍ على العالم بإخراجه من ظلمات الجهل والشِّرك والظلم، إلى نور العلم والمعرفة والواحدنية والعدل، وصِفُوا لهم ما كان يتحلَّى به من صفات الشجاعة، والتمسُّك بالحقِّ، وحبِّ الصدق، والعطف على الضعيف واليتيم، والصبر على الشدائد، وأفهموهم أنَّ حبَّه وطاعته شرطٌ في صحَّة الإيمان، واتلوا عليهم قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]وقوله سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ونحوهما من الآيات الدالَّة على وجوب طاعته وحبِّه.

«وحبِّ أهل بيته» لأنَّ أهل بيت النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أوصى بهم فقال: **«أُذكِّركم الله في أهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي»**. وقال يُخاطب بعض أهل بيته: **«والله لايدخل قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يُحبَّكم لله ولقرابتي»**.

«وقراءة القرآن» ليحفظوا منها سورًا يصلُّون بها، وليكون أول ما يتلقَّونه في تعلمهم كتاب الله، فتعُود عليهم وعلىٰ أهاليهم بركة ما فيه من هدىً ونور.

«فإنَّ حَمَلَةَ القرآن في ظلِّ الله يوم لا ظلَّ إلَّا ظِلُّه»[1] يعني أنهم إذا حفظوا القرآن كله وكانوا من حملته فجزاؤهم يوم القيامة أن يظلهم الله في ظل العرش في معية أنبيائه وأصفيائه،وهذه فضيلة عظيمة، لم ينالوها إلا لحملهم كتاب الله في صدورهم.

الحديث الثالث والعشرون

عن معاذٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِيك القَليلُ مِن العمل». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الإخلاص".

«أخلص دينك» أي: توجَّه به إلىٰ الله تعالىٰ، كما قال إبراهيم عليه السَّلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقال الله سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ

(١) هذه إحدىٰ الخصال التي يكون صاحبها في ظلِّ عرش الله يوم لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه. والثانية: إمامٌ عادلٌ. والثالثة: شابٌّ نشأ في طاعة الله. والرابعة: رجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها فلم تعلم شماله ما أنفقت يمينه. والخامسة: رجلان تحابَّا في الله. والسادسة: رجلٌ قلبه معلَّقٌ بالمساجد. والسابعة: رجلٌ دعته إمرأة ذات مَنْصِبٍ وجمالٍ فامتنع وقال: إني أخاف الله. والثامنة: رجلٌ ذكر الله في خلوته ففاضت عيناه. والتاسعة: إنظار مُعْسِرٍ. وهي نحو ثلاثين خصلةً، أفردها الحافظ السيوطيُّ برسالة خاصَّةٍ.

فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣] وحقيقة الإخلاص أن يقصد الشخصُ بطاعته وَجْهَ الله تعالىٰ، لا يقصد مع ذلك ثناءً من أحدٍ، ولا التقرُّب إليه، ولا جلب مصلحةٍ لنفسه، ولا أي غرضٍ آخر، بحيث يكون مدح الناس له وذمُّهم عنه سواء.

والإخلاص مقامٌ عزيزٌ، لا يناله إلَّا قليلٌ؛ لأنَّ الناس تشوب أعاملهم أغراضٌ ظاهرةٌ أو خفيةٌ، تُفسِد إخلاصهم.

قال بعض الصالحين: دخلت علىٰ سهل بن عبدالله التستريِّ يوم جمعةٍ قبل الصلاة، فرأيت في البيت حيَّةً، فجعلت أُقدِّم رجل وأؤخِّر أخرىٰ. فقال: ادخل، لا يبلغ عبدٌ حقيقة الإيمان وعلىٰ وجه الأرض شئٌ يخافه، ثُمَّ قال: هل لك في صلاة الجمعة؟ فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يومٍ وليلةٍ فأخذ بيدي فما كان إلَّا قليل حتىٰ رأيت المسجد فدخلناه وصلَّينا الجمعة ثُمَّ خرجنا فوقف ينظر إلىٰ الناس وهم يخرجون، فقال: أهل لا إله إلَّا الله كثيرٌ والمخلصون منهم قليلٌ.

قلت: سهلٌ هذا هو قائل الجملة المشهوره: «كلُّ الناس هَلْكَىٰ إلَّا العالمون، والعالمون هَلْكَىٰ إلَّا العاملون، والعاملون هَلْكَىٰ إلَّا المُخلِصون، والمُخلِصون علىٰ خطرٍ عظيم». وهي مذكورةٌ في باب الاستثناء من "شرح الكفراوي علىٰ الأجرومية" باعتبار أنها حديثٌ نبويٌّ وليست بحديث.

«**يكفيك القليل من العمل**»: لأنَّ الإخلاص سببٌ في قبول العمل، وإذا

قَبِلَ الله عملًا ولو قليلًا أغنىٰ صاحبه عن كثيرٍ من الأعمال غير المقبولة، لعدم الإخلاص فيها.

الحديث الرابع والعشرون

عن أنسٍ -رضي الله عنه- قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أخاف على أمَّتي خصلتين: تكذيبًا بالقَدَرِ، وتَصْدِيقًا بالنُّجُومِ**». رواه الخطيب في "كتاب النجوم".

«**تكذيبًا بالقَدَرِ**» ظهر في عصر التابعين وأواخر عصر الصحابة طائفة تُسمَّىٰ «القَدَرِيَّة» بفتح القاف والدال. وهم جماعةٌ أنكروا القَدَر، وقالوا: «الأمر أُنُفٌ»، بضم الهمزة والنون؛ أي أنَّ الأمر الذي يحدث الآن -أيُّ أمرٍ كان- مستأنفٌ ومبتدأٌ لم يُقدِّر الله وقوعه في الأزل، بل زعموا أنَّ الله لا يعلمه حتىٰ يحدث، كما لا نعلمه نحن قبل حدوثه، وهؤلاء كفَّارٌ لا خلاف في كفرهم.

وقد تبرَّأ منهم عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، كما ثبت في "صحيح مسلمٍ" وانقرضت هذه الطائفة والحمد لله، وبقيت طائفة المعتزلة الذين لا ينكرون علم الله بما يحدث في المستقبل، ولكنهم يقولون: لا يريد الشرَّ ولايُقدِّره، ويلزم علىٰ كلامهم أنَّ الكفر والمعاصي واقعةٌ بغير إرادة الله، وبلا تقديره، وهذا خلاف ما تدل عليه آيات القرآن الكريم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. والسُّنَّة النبوية المتواترة جعلت الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة. وإنما خاف النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أمَّته

التكذيب بالقدر؛ لأنه دائرٌ بين تكذيبٍ هو كفرٌ، كقول الطائفة المنقرضة، وبين تكذيبٍ هو ضلالٌ كقول المعتزلة.

«**وتصديقًا بالنجوم**» أي: أخاف على أُمَّتي تصديقًا بأنَّ للنجوم دخلًا في السَّعد والنَّحس، وأنَّ النجم الفلاني إذا كان في ناحية كذا يدل على وفاة زعيمٍ، أو حصول حربٍ، أو مجاعةٍ، أواقتران نجم بكذا يدل على رَوَاجٍ في الأسوق، ونجاحٍ في التجارة، ونحو ذلك من التنبُّؤات التي تُسمَّى بالطوالع التي تظهر في معظم النتائج المطبوعة في مصر. وكلُّ ذلك من أعمال الجاهلية التي حرَّمها الشارع، وأخبر أنَّ الغيب لا يعلمه إلَّا الله، وأنَّ ما يقع في الكون من حوادث وأحداث مَرَدُّه إلى مشيئة الله وإرادته، وأنَّ النجوم والكواكب مُسيَّرةٌ بأمره. قال تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

الحديث الخامس والعشرون

عن ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أردتَ أن تذكرَ عيوبَ غيرك فاذكر عيوب نفسك**». رواه الرافعيُّ في كتاب "التدوين في تاريخ قزوين".

إذا أراد الإنسان أن يذكر عيوب غيره فلا يخلو إمَّا أن يذكرها بقصد أن ينبِّه صاحبها ليصلحها، وإمَّا أن يذكرها على سبيل الغيبة المحرَّمة، وعلى كلا الحالين فالواجب أن ينشغل بعيوب نفسه، ويحاول إصلاحها؛ فذلك أنفع له وأبعد عن إثم الغيبة، وأسلم لدينه ودنياه.

وقد يعيب علىٰ غيره خُلُقًا أو فعلًا، ويكون هو متخلِّقًا بأقبح منه. وسبب ذلك: أن يكون راضيًا عن نفسه، مزكِّيًا لأحوالها وفي ذلك هلاكه قال الجنيد: «من نظر إلىٰ نفسه باستحسان شيءٍ منها فقد أهلكها، وكيف يصلح لعاقلٍ الرضا عن نفسه؟!». والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم الخليل يقول: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1] [يوسف: ٥٣]. وفي "الحلية" من حديث أبي هريرة: «**يُبصِرُ أحدُكُم القَذَى في عين أخيه، وينسى الجَذَعَ في عينه**». وفي بعض الأمثال: «الجمل لا يرىٰ سَنَامَهُ، ولكن يرىٰ سَنَامَ أخيه».

الحديث السادس والعشرون

عن سُلَيْكٍ الغَطَفانيِّ، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا عَلِمَ العالِمُ فلم يَعْمَل كان كالمِصْباحِ يُضِيءُ للنَّاسِ ويُحرق[2] نفسَهُ**». رواه ابن قانع في "معجم الصحابه".

الغرض من تعلُّم العلم: العمل به، وتعليمه للناس. فإذا لم يعمل العالم بعلمه، فمثله كمثل المصباح يُضيءُ للناس، وينوِّرهم بتعليمهم وإرشادهم،

---

(١) بناء علىٰ أنَّ هذا كلام يوسف عليه السَّلام، ورجَّح جماعةٌ علىٰ أنه كلام امرأة العزيز؛ لأنَّ يوسف لم يكن موجودًا حين قال المَلِك للنساء ﴿مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [يوسف: ٥١]، وممَّا يؤيِّد هذا: أنه بعد انتهاء كلامها قال المَلِك: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِي﴾ [يوسف: ٥٤].

(٢) بضمِّ الياء، وقراءته بفتحها لحنٌ.

ويُحرق نفسه، بترك العمل، حيث يعاقب عليه.

وثبت في الصحيح: «**أنَّ عالمًا يدخلُ النَّار فتَنْدلِقُ أَقْتَابُه، ويدور كما يدور حمار الرَّحَى، فيسأله بعض العُصَاة المعذَّبين: كيف دخلتَ النَّار وقد كنتَ فى الدنيا تأمر بالخير وتنهي عن الشرِّ؟ فيقول: كنت آمركم بالخير ولا آتِيه، وأنهاكم عن الشرِّ وآتِيه**».

(تنبيهٌ): سُليكٌ الغَطَفانيُّ راوي الحديث هو الذي دخل المسجد والنبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قائمٌ يخطب يوم الجمعة، وجلس فقال له النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قُمْ فصلِّ**[1] **ركعتين خفيفتين**». يعني: تحيَّة المسجد.

الحديث السابع والعشرون

عن عبدالله[2] رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أربعون رجلًا أُمَّة، ولم يخلص أربعون رجلًا في الدعاء لميِّتهم إلَّا وهبه الله تعالى لهم، وغفر له**». رواه الخليليُّ في "مشيخته".

---

(١) أخذ منه الشافعيةُ أنَّ الرجل إذا دخل المسجد والإمام يخطب يُصلِّي تحيَّة المسجد ركعتين خفيفتين، ثُمَّ يجلس. والمالكية الذين لا يجيزون ذلك قالوا: كان سُلَيكٌ فقيرًا رقيق الحال فأمره النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بصلاة ركعتين ليعلم الناس حاله فيتصدَّقوا عليه. لكن يرد عليهم: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد أن أمر سُليكًا بالصَّلاة قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد والإمام يخطب يوم الجمعة، فليركع ركعتين وليتجوَّز فيهما**». وهذا عمومٌ.

(٢) إذا أطلق عبدالله في الصحابة فالمراد به ابن مسعود، وهو حامل نعل رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، كان من قُرَّاءالصحابة وعلمائهم.

التعبير برجلٍ يفيد أنَّ المرأة لا تجب عليها صلاة الجنازة، ولا تشييعها، ويفيد الحديث: استحباب تكثير المصلِّين على الجنازة بحيث لا يَقلُّون عن أربعين رجلًا، وإخلاصهم في الدعاء له، لعلَّ الله يقبل شفاعتهم فيه. وإن كان لأحدهم قِبَل الميت مظلمةٌ فينبغي أن يسامحه فيها، ولا يجوز أن يتشدَّد، كما حصل من بعض العلماء الأزهريين، فقد حكى لي ولده: أنَّ رجلًا مات بقريتهم «شرنوب» فجاء أهل البلد إلى والده ليصلِّي على الميت لأنه العالم الموجود في بلدهم، فامتنع لأنَّ له على الميت أربعة جنيهات أقرضها له بغير شهودٍ ولم يستطع طلبها من الورثة، فلما أَلَحَّ الناس عليه، وأفهموه أنه لا يمكن دفن الميت إلَّا بعد أن يُصلِّي هو عليه، ولم يجد مخلصًا منهم، تقدَّم للصلاة عليه، ونوى بقلبه أنه لا يُسامحه في أربعة جنيهات، وأنها مستثناه من الدعاء الذي سيدعوا له فيه بالمغفرة.

وهذا تشدُّدٌ ما كان ينبغي، مع أنَّ ذلك العالم كان من الأغنياء الموسرين، له مؤلفات كثيرةٌ طبعها في حياته وكسب منها أرباحًا كثيرةً، وظلَّ أولاده بعد وفاته يطبعونها مرَّةً بعد مرَّةٍ لكثرة الطلب عليها.

الحديث الثامن والعشرين

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«اشتدَّ غضبُ الله على الزُّناة»**. رواه أبو سعد الجَرْبَاذَقَانيُّ في "جزئه"، وأبو الشيخ في "عواليه".

الزنا: من الكبائر الفواحش، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ

فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] وفيه من المفاسد: انتهاك عِرْضِ المزنيِّ بها، وتلويث شرف أهلها، واختلاط الأنساب، وغير ذلك.

فمن هنا اشتدَّ غضب الله على الزُّناة، وأوجب عليهم الحدَّ الرَّادع لأمثالهم من الوقوع فيه.

الحديث التاسع والعشرون

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أشدُّ النَّاسِ عذابًا يوم القيامةِ من يُرِي النَّاسَ أنَّ فيه خيرًا ولا خير فيه**». رواه أبو عبدالرحمن السُّلَميُّ في "الأربعين".

«**من يُرِي**»بضم الياء وكسر الراء «**النَّاسَ**» بالنصب مفعولٌ أول «**أنَّ فيه خيرًا**» مفعول ثاني. والمعنى: أنَّ الذي يُظهر للناس الخير وهو في الواقع خالٍ منه يكون أشدَّ الناس عذابًا يوم القيامة؛ لأنه مراءٍ، عمل بقصد أن يراه الناس ولم يقصد رضى الله تعالى، وفي الحديث الصحيح أنَّ الله يقول للمرائين يوم القيامة: «**اذهبوا إلى الذين عملتم لهم فى الدنيا، فاطلبوا الأجر منهم**». وقال السَّريُّ السَّقَطيُّ: «من تزيَّن للناس بما ليس فيه، سقط من عين الله تعالى».

الحديث الثلاثون

عن عبدالله بن الحكم، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أربعٌ من سَعَادةِ المرء: أن تكون زَوْجَتُه صالحةً، وأولاده أبرارًا، وخُلَطَاؤُهُ صالحين، ورِزْقُهُ في بلده**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الإخوان".

«**أن تكون زوجته صالحةً**» فسَّرها في حديث آخر بأنها إن نظر إليها سرَّته،

وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها ومالها. «**وأولاده أبرارًا**» بأن ربَّاهم علىٰ الأخلاق الفاضلة، والتمسُّك بالدِّين. «**وخلطاؤه**» أي: شركاؤه في تجارةٍ أو زراعةٍ «**صالحين**» لا يخونون ولا يسرقون. «**ورزقه في بلده**» لا يحتاج في الحصول عليه إلىٰ السَّفَر، وارتكاب مشاقِّه، فيكون محل عمله قريبًا من بيته، وبذلك يستطيع أن يُشرف علىٰ تربية أولاده وتعليمهم عن كَثَبٍ، ثُمَّ إنَّ الأولاد إذا رأوا والدهم بجانبهم جدُّوا واجتهدوا هيبةً له، وسعيًا في إرضائه.

الحديث الحادي والثلاثون

عن عليٍّ عليه السَّلام قال: أَشهد بالله وأَشهد لله لقد قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَشهدُ بالله وأَشهدُ لله لقد قال لي جبريل: يا محمَّد، إنَّ مُدْمِنَ الخمر كعابد وَثَنٍ**». رواه أبو نعيمٍ في "مسلسلاته" وقال: «صحيحٌ ثابتٌ عنه».

المُسَلْسَلُ -بضم الميم وفتح السينين بينهما لامٌ ساكنة-: هو الذي يتَّفق رواته في صفةٍ واحدةٍ، كهذا الحديث فإن كلَّ راوٍ يقول أشهد بالله وأشهد لله لقد أخبرني فلان.

وكالمسلسل بقول كلِّ راو لتلميذه: «**إني أحبُّك فلا تدعنَّ أن تقول دُبُر كلِّ صلاةٍ: اللهمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحُسْنِ عبادتك**[1]».

وكالمسلسل بالأولية، والأحاديث المسلسلات نحو ثمانين، أغلبها ضعيفٌ، والصحيح فيها قليلٌ، وأغرب المسلسلات حديث نرويه مسلسلٌ باليمين،

---

(١) نرويها عن الشيخ محمد عبدالباقي الأنصاري المدني سكنًا ووفاةً، وعن الشيخ أبي النصر القاوقجيِّ، عن والده أبي المحاسن، وعن غيرهما.

يحلف كلُّ راوٍ بالله العظيم لقد حدَّثه شيخه، حتىٰ يصل إلىٰ جبريل فيحلف بالله العظيم لقد أخبره الله تعالىٰ، وذكر حديثًا في فضل قراءة الفاتحة موصلة بالبسملة في نفسٍ واحدٍ، وهو مع ذلك حديثٌ مكذوبٌ!!

«**إنَّ مدمن الخمر**» وهوالذي يشربها متىٰ وجدها «**كعابد وَثَنٍ**» لأنه عبد شهوته، وآثرها علىٰ رضا مولاه.

الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي أُمامه -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أصحاب البِدَعِ كلابُ النَّار**». رواه أبو حاتمٍ الخزاعي في "جزئه".

«**أصحاب البِدَعِ**» هم الخوارج، فقد جاء في حديثٍ آخر: «**الخوارج كِلابُ النَّار**». لأنهم كَفَّروا بعض الصحابة، واستحلُّوا قِتالهم.

ويقول أحدهم وهو عِمْران بن حِطَّان يمدح عبدالرحمن بن ملجم الذي قتل عليًّا عليه السَّلام:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقيٍّ ما أرادَ بها ... إلَّا لِيبلُغَ مِنْ ذي العرشِ رِضْوانا

إنِّي لأذكُرُهُ يومًا فأحسَبُهُ ... أَوْفَىٰ البَرِيَّة عند الله مِيزانا

أَكْرِمْ بقومٍ بطونِ الأرض أَقْبُرُهم ... لم يَخلِطوا دِينهم بَغيًا وَعُدْوانا

وردَّ عليه القاضى أبو الطيب الطبريُّ بقوله:

يَا ضَرْبَةً مِنْ شَقيٍّ ما أرادَ بها ... إلَّا لِيبلُغ مِنْ ذي العرشِ خُسْرانا

إنِّي لأَذْكُرُهُ حِينًا فَأَلْعَنُهُ ... دِينًا وأَلْعَنُ عِمْرَان بنَ حِطَّانا

فأنتمو مِن كِلابِ النَّارِ جاء بذا ... نَصُّ الشَّريعةِ بُرْهانًا وتبيانا

الحديث الثالث والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سُرورًا، أو تَقضيَ عنه دَيْنًا، أوتُطعمه خُبزًا**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "قضاء الحوائج".

«**أفضل الأعمال**» بعد الفرائض من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ «**أن تُدخلَ على أخيك المؤمن سُرورًا**» بأن تنقل إليه خبرًا صادقًا يسرُّه، أو تُمازحه في حدود اللياقة والأدب «**أو تقضي عنه دَيْنًا**» عجز عن قضائه لعُسره، وتُنْظِرُه لحين يُسْرِه، أو تتنازل عنه وهو أفضل «**أو تُطعمه خُبزًا**» أي: تُشبعه إذا كان جائعًا. فمثل هذه الأعمال أفضل من كثير النوافل؛ لأنك نفعت به أخاك المؤمن، ويتضاعف ثوابها إذا كان جارًا لك في السكن، كما يتضاعف أيضًا إذا كان قريبًا لك، بل كثيرٌ من الأعلماء والصالحين تركوا الحجَّ النَّفل وساعدوا بما كانوا ينفقونه فيه يتامى وأرامل ومُحتاجين.

الحديث الرابع والثلاثون

عن أنسٍ رضي الله عنه: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أفضلُ الصَّدقةِ في رمضانَ**». رواه سليم الراضي في "جزئه".

«**أفضل الصدقة**» صدقةٌ «**في رمضان**»؛ لأنه شهرٌ نزل فيه القرآن، والقرآن يَحُضُّ على البرِّ والصدقة؛ ولأنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يكون في رمضان أجود بالخير من الرِّيح المُرسلة والله تعالى يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

الحديث الخامس والثلاثون

عن عليٍّ كرَّم الله وجهه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إقرأ القرآن على كلِّ حالٍ إلَّا وأنت جُنُب**». رواه أبو الحسن بن صخر في "فوائده".

يفيد الحديث عدم قراءة القرآن للجُنُب، وهو مذهب الجمهور، وكذالك الحائض. نعم، يجوز لها قراءة آيةٍ أو آيتن للتعوُّذ من الجنِّ والشياطين. أمَّا مس المصحف فلا يجوز(١) إلَّا للمتوضِّئ: «**لا تَمسَّ القرآن إلَّا وأنت طاهِر**». وأجاز المالكية لمعلِّم الصِّبيان في الكُتَّاب أن يمسَّ القرآن بغير وضوءٍ للمشقَّة.

الحديث السادس والثلاثون

عن أنسٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله احتجز التوبة عن كلِّ أصحاب بِدْعَةٍ**». رواه ابن فيل في "جزئه".

البدعة: الأمر الذي لم يكن على عهد النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وهي نوعان:

بدعةٌ في العقيدة، كبدعة القَدَرِيَّة والمعتزلة والخوارج، وهذه البدعة لا تكون إلَّا ضلالةً وعليها ينطبق الحديث؛ لأنَّ أصحابها يعتقدون أنهم على هدىٰ، فهم لا يتوبون من عقيدتهم الضالَّة بل يفتخرون بها، كما يُحكىٰ عن الزمخشريِّ أنه كان إذا قَرَع باب أحد أصحابه، فسأل: من بالباب؟ أجاب:

---

(١) وأجاز المالكية للحائض أن تمسَّ اللوح وتكتب فيه القرآن لأجل التعليم، سواء أكانت تُعلِّم غيرها أم يُعلِّمها غيرها. بل أجازوا أيضًا للحائض المعلِّمة أو المتعلِّمة مسَّ المصحف الكامل.

محمود المعتزلي، ونجده في "تفسير الكشَّاف" يستعيذ بالله من ضلال الأشعرية الذين يسمِّيهم بالمُجْبِرة[١] فهؤلاء مُحتَجزون عن التوبة إلَّا إن أراد الله بأحدهم خيرًا ففتح قفل قلبه.

والأخرى: بدعةٌ في الأعمال الفرعية، وهي بحسب ما فيها من مصلحةٍ أو مفسدةٍ تنقسم إلى بدعةٍ حسنةٍ وسيئةٍ:

فالبدعة الحسنة مثل: تشيع الجنازة بالذكر جهرًا، فإنَّ فيها من المصلحة اشتغال المشيِّعين بالذكر عن الكلام في الميت أو غيره، مع ما يُضيفه الذكرمن الهيبة والوقار.

والبدعة السيئة مثل: ما يُرتكب عند الموت من نصب المآتم وما يصرف فيها[٢].

الحديث السابع والثلاثون

عن عليٍّ عليه السلام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله تعالى يُبْغِضُ البخيلَ في حياته، السَّخيَّ عند موته**». رواه الخطيب في كتاب "البخلاء".

---

(١) بضمِّ الميم، وسكون الجيم، وكسر الباء التحتية الموحدة، نسبة إلى القول بالجبر وما يُحكى عنه أنه رجع عن الاعتزال ليس بصحيح.

(٢) وعليها يتنزَّل الحديث الصحيح: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن يُنقَصَ من أجورهم شيءٌ، ومَنْ سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً فعليه وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن يُنقَصَ مِن أوزارهم شيء**».

البخيل في حالة صحته وحياته مُبْغَض(١) عند الله تعالى؛ لأنه لا يؤدِّي حقَّ الله فيما أعطاه، ويقبض يده عن اليتيم والمسكين والمحتاج، ولايسهم في بناء مسجد أو مستشفى أو معهد للتعليم، بل همُّه جمع المال وتكديسه، حتى إذا أشرف على الموت، ولم يَبْقَ له في الحياة أمل سخا ببعض المال، وأوصى به لفلانٍ وفلانٍ.

وفي الحديث: «**خير الصدقة أن تَصَدَّق وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقر وتأمُل الغنى، ولا تَدَعْ حتَّى إذا بلغت الحلقومَ قلتَ لفلانٍ كذا وكذا، وقد كان لفلانٍ كذا**».

الحديث الثامن والثلاثون

عنه أيضًا كرَّم الله وجهه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها**».

رواه الخلعيُّ في "فوائده"، ورواه الخرائطيُّ في "اعتلال القلوب" عن عمر رضي الله عنه.

كتمان الحاجة أنجح لقضائها، وإفشاؤها أدعى لفشلها، بسبب سعي حاسدٍ، أو خصمٍ معاندٍ أو نحوهما ممن يكون دأبه إذاية الناس، وتعطيل مصالحهم. ويقول عمر -رضي الله عنه-: «**مَنْ كَتَم سِرَّهُ مَلَكَ أَمْرَهُ**».

وحكى المؤرِّخون أنَّ مِن أسباب فشل ابن الزبير، وغَلَبَة بني أمية عليه: أنه كان يُفضي بأسراره ولا يكتمها.

(١) بضمِّ الميم وسكون الباء وفتح الغين المعجمة وقولهم: مبغوض لحنٌ.

الحديث التاسع والثلاثون

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الشَّيطانَ يأتي أحدَكم فيقول: مَن خَلَقَكَ؟ فيقول الله. فيقول: مَن خلق الله؟ فإذا وَجَدَ أحدُكم ذلك فليقل: آمنتُ بالله ورُسُلِهِ. فإنَّ ذلك يذهبُ عنه**». رواه بن أبي الدنيا في "مكايدالشيطان".

هذا نوعٌ من وسوسة الشيطان، يريد إغواء المسلم بإلقاء الشك في إيمانه، حيث يسأله من خلق الله؟ وهويعلم أنَّ الله خالقٌّ، وليس بمخلوقٍ، وقصته مع آدم تدل علىٰ ذلك، حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] وحلف علىٰ إغوائهم بقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] فإذا وجد المسلمُ هذه الحالة فليقل: آمنت بالله ورُسُله، فإنَّ الشيطان يذهب عنه حين يسمع لفظ الإيمان؛ لأنه يكره أن يرىٰ أحدًا من ذرية آدم متمسِّكًا بإيمانه.

الحديث الأربعون

عن الحسن بن علي عليهما السلام، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إن أحسن الحسن الخلق الحسن**». رواه المستغفريُّ في "مسلسلاته".

هذا الحديث مسلسلٌ يقول كل راو: حدَّثني فلان وعلمه حسنٌ، أو خلقه حسنٌ، أو وجهه حسنٌ، أو خطه حسنٌ، أو كلُّ حاله حسنٌ، وقد تلقيته من شقيقي الحافظ أبي الفيض رحمه الله، كما تلقَّيتُ منه عدَّة مسلسلاتٍ[1] بعضها

---

(١) منها مسلسل عاشوراء، والمسلسل باليمين، ومن ألطف الأحاديث التي تلقيتها عنه

ببيتنا وبعضها بزاويتنا الصِّدِّيقية عمَّرها الله بذكره وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا تؤيِّده أحاديث كثيرة في فضل حُسْنِ الخُلُق.

الحديث الحادي والأربعون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ أفواهكم طُرُقٌ للقرآن فطيِّبوها بالسِّواك**». رواه أبو نعيمٍ في كتاب "السِّواك".

يفيد الحديث: استحباب تطيب الفم لقراءة القرآن وفضل السِّواك؛ لأنه ينظِّف الأسنان، ويشدُّ اللِّثة، ويطيِّب النكهة إلي غير ذلك من فوائده المقررة في كتاب "الطب النبوي". ولأبي نعيمٍ في كتاب "السواك" عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**السِّواك من الفِطْرَةِ**». أي الدِّين قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] وإنما كان من الدِّين لأنه آلة نظافةٍ، والدين نظيفٌ يحضُّ على النظافة.

الحديث الثاني والأربعون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ أنواع البرِّ نصفُ العبادة، والنِّصفُ الآخر الدُّعاء**». رواه ابن صهري في "أماليه".

حديث رواه البيهقيُّ في "السنن" معظم رجاله مَرْضَى: أعرج، عن أعمى، عن أقطع، عن أشل، وهكذا ولَمَّا ألقاه في بعض دروسه بالزاوية الصِّدِّيقيه سأله بعض الظرفاء من الإخوان الصِّدِّيقيين: في أي مستشفي تلقيتَ هذا الحديث؟

وكان شقيقنا أبو الفيض يُلقي الحديث بإسناده في دروسه، مثل مولانا الأستاذ الإمام الوالد حين كان يلقي دروسًا في "صحيح البخاريِّ" بالجامع الأعظم بطنجه.

العبادةُ معناها: الخضوع والتذلُّل. والدعاء: طلبٌ مِن الله، وخضوعٌ له والتجاءٌ إليه. فمن هنا كان نصف العبادة معادلًا لنصفها الآخر الذي هو أنواع البرِّ كله.

الحديث الثالث والأربعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ أهلَ السَّماءِ لا يسمعون شيئًا من أهلِ الأرضِ إلَّا الأذانَ**». رواه أبوأميَّة الطرسوسيُّ في "مسنده".

يحتمل الحديث معنيين:

أحدهما: أن يكون الملائكة سُكَّان السماء لا يسمعون شيئًا من أمور الأرض إلَّا الأذان، فإنَّ الله يسمعهم إيَّاه علىٰ سبيل خَرِّقِ العادة لما فيه من توحيد الله والشهادة لرسوله، والدعوة إلىٰ الصلاة التي هي أفضل العبادت.

والمعنى الأخر: أن يكونوا يسمعون من أهل الأرض ما يصدر عنهم من أقوالٍ وأصواتٍ، لكن لا يسمعون منهم سماع قبول ورضا إلَّا الأذان، لما فيه من المعاني المذكورة.

الحديث الرابع والأربعون

عن عقبة بن عامرٍ، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ في الجنَّة دارًا يقال لها: دار الفَرَحِ، لا يدخلها إلَّا مَن فرَّحَ يتامى المسلمين**». رواه الحافظ حمزة بن يوسف السهميُّ في "معجمه".

هذا الحديث يحضُّ علىٰ تفريح يتامىٰ المسلمين بإعطائهم ثيابًا جديدة، أو

حلواء، أو لعبًا أو نحو ذلك في الأعياد والمواسم، أو مساعدتهم على التعليم بشراء الكتب اللازمة لهم، أو تفهيمهم ما صعب عليهم من الدروس، أو التسِّرية عنهم من حزنٍ أصابهم. إلى غير ذلك من أوجه التفريح والتفريج.

الحديث الخامس والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها كلها دخل الجنَّة**».

يعني صفةً تدلُّ على الذات مع معنًى من معاني الكمال الذي يجب له تعالى، وليس فيها اسم علمٍ يدل على مجرَّد الذات إلَّا الاسم المفرد (الله) «**من أحصاها**» حفظًا مع تدبُّر معانيها المُوجب لخشية الله، والبعد عن معاصيه. «**كلها**» توكيد أريد به استقصاء تلك الأسماء بالحفظ والتدبير، لتفيد مُحصيها الالتجاء إلى الله، وصدق التوكل عليه. «**دخل الجنَّة**» مع السابقين.

(الله): اسمٌ للوجود الأعظم المتصف بصفات الألوهية، المنعوت بنعوت الربوبية.

(الرحمن): الذي يعطف على عباده بالإيجاد، ثُمَّ بالهداية إلى الإيمان، وأسباب السعادة، ثُمَّ بالإسعاد في الأخرة.

(الرحيم): الذي يفيض الخير على عباده من يستحقُّ منهم ومن لا يستحقُّ.

(الإله): المعبود بحقٍّ.

(الرب): الذي يربِّي عباده بما يصلحهم.

(**المَلِك**): الذي يستغني عن كلِّ موجودٍ، ويحتاج إليه كلُّ موجودٍ.

(**القُدُّوس**): بضمِّ القاف، أي: المنزَّه عن كلِّ وصفٍ يدركه حسٌّ، أو يتصوَّره خيالٌ، أو يسبق إليه وَهْمٌ، أو يختلج به ضميرٌ، أو يقضي به تفكيرٌ.

(**السَّلام**): الذي سَلِم ذاته عن العَيْب، وصفاته عن النقص، وأفعاله عن الشرِّ.

(**المؤمن**): الذي يَهَبُ الأمن والأمان، أو الذي يُصدِّق رسله بالآيات.

(**المهيمن**): المستولي علىٰ عباده، المُشرف علىٰ أرزاقهم وأعمالهم وآجلهم.

(**العزيز**): الذي يستحيل وجود مثله، وتشتدُّ الحاجة إليه.

(**الجَبَّار**): الذي تنفذ مشيئته في كلِّ أحدٍ، ولا تنفذ فيه مشيئة أحدٍ، أو الذي يَجْبرُ فَقْرَ خَلْقه، ويسدُّ حاجتهم.

(**المتكبِّر**):الذي يكون جميع خلقه حُقَراء بالنسبة إليه، ومِن ثَمَّ وجبت عليهم عبادته والتذلُّل له.

(**الخالق**): المقدِّر للأشياء قبل وجودها.

(**البارئ**): المُخترع والمُوجد لها.

(**المُصوِّر**): المرتِّب لصور المخترعات أحسن ترتيب.

(**الحكيم**): الذي أحكم المخلوقات وأتقن صنعها، أو الذي تشتمل أفعاله علىٰ حِكَمٍ ظاهرةٍ أو خفيةٍ، أو الذي يهب الحكمة لمن يشاء.

(**العليم**): أي الذي أحاط علمه بكلِّ شيءٍ، كُلِّيِّه وجزئيِّه، ظاهره وباطنه، أوله وآخره، جليله ودقيقه، كبيره وصغيره.

(**السَّميع**): الذي لا يغيب عن إدراكه أيُّ مسموعٍ، واضحًا كان أو خفيًّا،

يسمع دبيب النملة علىٰ الصخرة، وحديث النفس، لا تُكِنُّه الجوانح، لا يختلط عليه صوتٌ بصوتٍ، ولا يَحجبُ إدراكه جهرٌ عن سرٍّ.

(البصير): الذي يرىٰ ما في السموات وما بينهما وما تحت الثَّرىٰ، تنزَّه إبصاره عن الحَدَقة، كما تنزَّه سمعه عن الأذان والصِّماخ.

(الحيّ): حياة ذاتية لا يعتورها فناء.

(القيُّوم): الذي يقوم به كلُّ موجودٍ سواه.

(الواسع): الذي وَسِعَ علمه جميع المعلومات، ووسع كرمه وإنعامه جميع المخلوقات.

(اللطيف): الذي يعلم دقائق المصالح وغوامضها الدقيقة الخفية، ويوصلها إلىٰ مستحقِّها برفقٍ ولطفٍ.

(الخبير): الذي يعلم الأشياء الباطنة والأمور الغامضة.

(الحنَّان): الشديد الرحمة والعطف.

(المنَّان): الكثير الإنعام.

(البديع): الذي لم يعهد له مثله في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

(الودود): الذي يحبُّ الخير لجميع خلقه.

(الغفور): الكامل الغفران.

(الشكور): الذي يجازي علىٰ الطاعة اليسرة بدرجاتٍ كثيرةٍ.

(المجيد): الشريف الذات، الجميل الفعال.

(المُبدئ): الذي أوجد الخلق عن عَدَمٍ.

(المُعيد): الذي يوجد الناس بعد فنائهم، فيُعيدهم كما كانوا.

(**النُّور**): الظاهر في نفسه المُظهر لغيره.

(**الهادي**): الذي هدىٰ العُقلاء إلىٰ معرفته بما نصب لهم من الدلائل والآيات، وهدىٰ كلَّ مخلوقٍ إلىٰ ما لابُدَّ منه في قضاء ضرورياته.

(**الأول**): الذي لم يسبقه عَدَم.

(**الآخر**): الذي ينتهي إليه جميع المخلوقات.

(**الظاهر**): لذوي العقول بدلائل وحدانيته.

(**الباطن**) عن الحواسِّ والخيالات، فلا يدركه وَهْمٌ ولا تحسُّه جارحةٌ.

(**العَفُوّ**): الذي يمحو السَّيئات ويتجاوز عن المعاصي.

(**الغفَّار**): الكثير الغُفران للعصاة، يغفر لهم مرَّةً بعد مرَّةٍ.

(**الوهَّاب**): الذي يُعطي كلَّ محتاجٍ حاجته لا لِعوضٍ، ولا لِغَرضٍ.

(**الفرد**): الذي يستحيل أن يكون له شأنٌ يُماثله أو يُشاكله.

(**الأحد**): الذي لا يتجزَّأ ولا يثنَّىٰ.

(**الصَّمد**): الذي يُصْمَدُ إليه -أي يُقصد- في الملمَّات.

(**الوكيل**): الذي تُوكَلُ إليه الأمور وهو كُفُؤٌ بالقيام بها وفيٌّ بإتمامها.

(**الكافي**): الذي يكفي الأسواء والأدواء والشرور.

(**الباقي**): الذي لا ينهي وجوده، أي: لا يطرأ عليه عَدَمٌ أصلًا.

(**الحميد**): الذي يحمده الخلائق.

(**المُقيت**): بضمِّ الميم؛ الذي يُعطي كلَّ بدن قوته، ويغذِّي كلَّ روحٍ بقوته المعنوي، أو هو المستولي علىٰ الأشياء كلها المحيط بها علمًا وقدرةً.

(**الدائم**): الذي ليس له أول ولا آخر.

(المتعالي): البالغ منتهىٰ العُلو.

(ذا الجلال والإكرام): صاحب نعوت الجلال، وهي: الغنىٰ، والقدرة، والعلم. وصاحب الإكرام الذي يفيضه علىٰ خلقه.

(الولي): المحبُّ لعباده المُخلِصين.

(النَّصير): الذي ينصر أحبابه.

(الحقُّ): أي الواجب الوجود لذاته.

(المُبين): المظهر لخلقه آياته وآلاءه.

(المغيث): الذي يُغيث الملهوفين والمَكْروبين.

(الباعث): الذي يُحيي الخلق يوم النشور، ويبعث مَن في القبور.

(المُجيب): الذي يُجيب دعوة الداعين.

(المحي): خالق الحياة.

(المُميت): خالق الموت.

(الجميل): أي الذي كلُّ فعله حسنٌ جميلٌ.

(الصَّادق): في القول وفي الوعد. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

(الحفيظ): الذي يحفظ الأشياء بإدامة وجودها إلىٰ حين انتهاء أَجَلِها، ويحفظ المتضادَّات والمتعاديات بصيانة بعضها عن بعضٍ، فلا يطغىٰ الماء علىٰ النَّار، ولا النَّار علىٰ الماء، ولا الحرارة علىٰ البرودة، ولا البرودة علىٰ الحرارة.. وهكذا.

(**المُحيط**): بجميع خلقه إحاطة علمٍ وقدرةٍ، فلا يغيب شيءٌ عن علمه، ولا يخرج شيءٌ عن قدرته.

(**الكبير**): الذي كمل وجوده فلم يقطعه عَدَمٌ سابقٌ، ولا عَدَمٌ لاحقٌ، وصدر عنه وجود كل موجودٍ.

(**القريب**): القريب من عباده قرب عنايةٍ وتأييدٍ، لا قرب مسافةٍ وتحديدٍ.

(**الرقيب**): الذي يراعي المخلوقات مراعاةً تامَّةً لا تعتريها غفلةٌ، ويلاحظها ملاحظةً كاملةً لا يغيب عنه منها شيءٌ.

(**الفتَّاح**): الذي يفتح كلَّ مُغلقٍ، ويكشف كلَّ مُشكَلٍ، ويحكم بالحقِّ.

(**التوَّاب**): الذي ييسِّر أسباب التوبه لعبادة، وإذا تابوا قبل منهم.

(**القديم**): الذي يستحيل أن ينتهي وجوده في الماضي إلى أول، ويقال له الأزليّ.

(**الوتر**): المنفرد بالألوهية.

(**الفاطر**): الذي بدأ خلق الموجودات من عَدَمٍ.

(**الرزَّاق**): خالق الأرزاق الحسِّية كالطعام، والمعنوية كالعلم، وموصلها إلى عباده.

(**العلَّام**): الذي لا نهاية لمعلوماته.

(**العَليّ**): الذي لا رتبة تصل إلى رتبته.

(**العظيم**): الذي يستحيل أن تحيط العقول بكنه حقيقته.

(**المُغني**): الذي يفيض على عباده ويغينهم.

(**المَليك**): الواسع المُلك.

(المُقْتَدِر): التامُّ القُدْرة كاملها.

(الأكرم): الكثير الإعطاء.

(الرءوف): الشديد الرحمة.

(المُدبِّر): الذي يُدبِّر شئون المخلوقات حسب علمه.

(المالِك): الذي تنفذ مشيئته في مُلْكِهِ.

(القاهِر): الذي قهر عباده، فهم في قبضته.

(الشَّاكِر): الذي يجزي العاملين، ويُثني عليهم.

(الكريم): الذي يعفو مع قدرته على العقاب.

(الرَّفيع) الذي يرفع رتبة أوليائه، ويرفع درجاتهم في الآخره.

(الشَّهيد): الذي يشهد جميع خلقه ويراهم: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

(الواحد): الذي يستحيل الانقسام في ذاته.

(ذو الطَّول): صاحب الامتنان.

(ذو المعارج): صاحب المصاعد الذي يصعد عليها الملائكة إلى السموات، وإلى ما شاء الله.

(ذو الفضل): صاحب الكمال المطلق الذي لا يدانيه كمال.

(الخلَّاق): الذي خلق العالم بمن فيه وما فيه، ويخلق كلَّ لحظةٍ ما لا يُحصىٰ من النفوس.

(الكفيل): الذي كفل أرزاق المخلوقات، فلا يوجد حيٌّ إلَّا أوصل رزقه إليه.

(الجليل): الذي يوصف بصفات الجلال من الغنىٰ والملك والقدرة والعلم وغيرها.

وهذه الأسماء تُقرأ منصوبة لأنها مفعولةٌ لفعل «أسأل» في أول الحديث.

رواه أبو الشيخ في "التفسير"، وأبو نعيمٍ في "الأسماء الحُسنىٰ".

الحديث السادس والأربعون

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ لجنَّهم بابًا لايدخله إلَّا مَنْ شَفَى غَيْظه بمعصية الله**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "ذم الغضب".

الغضب: جمرةٌ من الشيطان تُوقد في قلب ابن آدم، فإذا أطفأها الإنسان بكَظْم غيظه أرضاه الله تعالىٰ يوم القيامة علىٰ رؤس الأشهاد، وإن هو استرسل معها وانتقم ممَّن أغضبه بمعصية الله تعالىٰ، بأن ردَّ علىٰ الشتيمة بالضرب، أو ردَّ علىٰ الضرب بالقتل، فإنه يدخل جنَّهم من بابٍ خُصِّص له ولأمثاله.

ومن حِكَم عمر رضي الله عنه قوله: «ما عاقبتَ من عصىٰ الله بمثل أن تُطيع الله فيه».

الحديث السابع والأربعون

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنكم لن تَرَوا ربَّكم عزَّ وجلَّ حتى تموتوا**». رواه الطبرانيُّ في "السنة".

يفيد الحديث: أنَّ المؤمنين يرون الله تعالىٰ بعد الموت يعني يوم القيامة، وانعقد عليه إجماع أهل السُّنَّة، وتواترت به الأحاديث، ودلَّت عليه آياتٌ من

القرآن الكريم مثل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣]﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥] وما خصَّ الكفَّارَ بالحجاب إلَّا لأنَّ المؤمنين يرونه.

كما يفيد الحديث: أنَّ أحدًا لن يرىٰ الله في الدنيا، وهو إجماعٌ من أهل السُّنَّة أيضًا، ولو ادَّعاه أحدٌ يُحكم بكفره، وُسئل الإمام مالكٍ: لِمَ لم يرَ المؤمنون ربهم في الدنيا؟ فأجاب: «لأنهم فانون وهو باقٍ، فإذا كان يوم القيامة أُعطوا أبصارًا باقيةً فرأوا الباقي بالباقي».

وهل رآه النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة المعراج؟ في ذلك خلافٌ قيل: لم يره، وقيل: رآه بقلبه فقط. والصحيح أنه رآه رؤيةً بصريَّةً حقيقيَّةً.

الحديث الثامن والأربعون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أَهْلُ القرآنِ أَهْلُ الله وخاصَّتُه**». رواه أبو القاسم ابن حيدر في "مشيخته".

إنما كان أهل القرآن أهل الله لأنهم حفظوا كلامه، والتزموا أحكامه وقد ورد: «**مَن أوتي القرآن ورأى أنَّ غيره قد أُعطي أعظم مما أُعطي فقد صغَّر ما عظَّم الله**».

الحديث التاسع والأربعون

عن عليٍّ أيضًا كرَّم الله وجهه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ألا أدلُّكم على الخلفاء منِّي ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي؟ هم حَمَلةُ القرآن والأحاديث عنِّي وعنهم في الله ولله**». رواه السجزيُّ في "الإبانة"، والخطيب في

"شرف أصحاب الحديث".

في الحديث شرفٌ كبيرٌ لأصحاب الحديث، ومنه أُخذ لقب أمير المؤمنين في الحديث، وهو: أعلى لقب للحفظ عند المحدِّثين لم ينله إلَّا نفرٌ قليلٌ[1] منهم الإمام مالك، وعبدالرحمن بن مهدي، والبخاري، وآخر من وُصف به: الحافظ ابن حجر.

«في الله ولله» يعني أنهم يحملون القرآن والحديث عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وعن أصحابه حبًّا في الله ولأجل دين الله[2].

الحديث الخمسون

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أُوتِيَ موسى الألواحُ، وأُوتيت المَثَاني**». رواه أبو سعيدٍ النقاش الحافظ في "فوائد العراقيين".

«المثاني» هي: السور التي تَقِلُّ عن مائة آية، مثل سورة الأنفال. سُمِّيت مَثاني لأنها ثنَّت السور المئين أي هي ثوان، والمئون أوائل، والمعنى: أنَّ السُّور المثاني تعدل الألواح التي أُوتيها موسى عليه السَّلام.

---

(١) وهم نحو خمسة وعشرين، جمعهم المرحوم الشيخ حبيب الله الشنقيطي في رسالة. وألقاب الحِفظ هي: مُسنِد، ثُمَّ مُحدِّث، ثُمَّ مُفيد، ثُمَّ حافظ، ثُمَّ أمير المؤمنين في الحديث. أمَّا لقب «الحاكم» فليس من ألقاب الحِفظ، كما أنَّ لفظ «الحجَّة» من ألفاظ التعديل.

(٢) ولذا قال بعض العلماء: علم الحديث من علوم الآخرة ليس للدنيا فيه نصيبٌ.

الحديث الحادي والخمسون

عن عثمان رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أول مَن يَشْفَعُ يوم القيامةِ الأنبياء، ثُمَّ العلماء، ثُمَّ الشُّهداء**». رواه المرهبيُّ في "فضل العلم".

أول من يشفع يوم القيامة علىٰ الإطلاق هو النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، حين يؤذن له بالشفاعة في فصل القضاء، ثُمَّ بعد ذلك يُؤذَنُ بالشفاعة للأنبياء، ثُمَّ العلماء؛ لأنهم ورثة الأنبياء، ثُمَّ الشهداء؛ لأنهم جادوا بأنفسهم في سبيل الله.

والمراد بالعلماء الذين يشفعون: أهل الاجتهاد الذين تقوم بهم الحُجَّة، ويُجدِّدون الدِّين، وليس المراد بهم المقلِّدين، ولو كانوا يحملون شهادات مِن الأزهر، أوغيره مِن الجامعات.

الحديث الثاني والخمسون

عن سعيد بن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إيَّاكم ومُحادَثة النِّساء؛ فإنه لا يخلو رجلٌ بامرأةٍ ليس لها مَحْرَمٌ إلَّا هَمَّ بها**». رواه الحكيم الترمذي في كتاب "أسرار الحج".

أثبتت التجارب المتعدِّدة المُستقاة من الوقائع المختلفة: أنَّ انفراد الرجل بامرأةٍ أجنبيةٍ عنه لا يخلو من إثمٍ، إلَّا إذا وُجِدَ مانعٌ قهريٌّ. كما ثبت أنَّ وازع العلم أو الخُلُق لا يحول دون وقوع خطيئةٍ بينهما، فمن هنا حذَّر الشَّارع من مُحادثة النِّساء والخُلْوة بهنَّ؛ مخافة الوقوع في الزِّنا أو في مُقدِّماته.

الحديث الثالث والخمسون

عن عمر رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إيَّاكم والتعمُّق في الدِّين فإنَّ الله تعالى قد جعله سهلًا، فخذوا منه ما تُطيقون، فإنَّ الله يحبُّ ما دام من عملٍ صالحٍ، وإن كان يسيرًا**». رواه أبو القاسم بن بشران في "أماليه".

التعمُّق في الدين: أي التشدُّد فيه، منهيٌّ عنه لأنه يؤول بالتعمُّق إلى الكَلَل والتفريط، والدِّين الإسلاميُّ سهلٌ مُيسَّرٌ يُجاري الحياة، ويحضُّ على الأخذ من طيبتها في حدود الاعتدال، ويطلب من المسلم أن لا يُقصِّر في الفرائض، وأن يعمل من النوافل القدر الذي لا يمله ولا يتعبه، ويؤكد أنَّ العمل الصالح الدائم مع قلته خيرٌ من العمل الكثير المنقطع، فصلاة ركعتين كل يومٍ خيرٌ من صلاة مائة ركعة لمدة شهرٍ ثُمَّ تنقطع، وعلى هذا القياس.

الحديث الرابع والخمسون

عن البراء رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أيما إمامٌ سها فصلَّى بالقوم وهو جُنُبٌ فقد مَضَتْ صلاتُهم، ثُمَّ ليغتسل هو، ثُمَّ ليعد صلاته، وإن صلَّى بغير وضوءٍ فمثل ذلك**». رواه أبو نعيم في "معجم شيوخه".

إذا نسي الإمام أنه جُنُبٌ أو على غير وضوء فصلَّى بالناس، ثُمَّ تذكَّر بعد الصَّلاة فقد صحَّت صلاة من صلَّى بهم، أمَّا هو فيجب عليه أن يغتسل أو يتوضَّأ، ثُمَّ يُعيد الصَّلاة، فإنَّ تذكَّر وهو في الصَّلاة فليستخلف، بمعنى أنه يقدِّم بعض المصلِّين يؤمُّ النَّاس بدله، ويذهب هو ليغتسل أو يتوضَّأ.

الحديث الخامس والخمسون

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أيما راعٍ لم يرحم رعيَّته حَرَّم الله عليه الجنَّة**». رواه خيثمة الطرابلسيُّ في "جزئه".

الرَّاعي: أي الحاكم الذي يَلِي أمر الناس يجب عليه أن يُعامل أفراد الرَّعيَّة معاملةً حسنةً فيها رِفقٌ ورحمةٌ، فلو شدَّد أو شقَّ عليهم وجبت له النَّار؛ لأنه ضيَّع أمانةً وُكِلَتْ إليه، ومِن هنا كان عمر -رضي الله عنه- يتفقَّد أفراد الرَّعيَّة، خشية أن يكون فيهم ضعيفٌ يحتاج إلىٰ مساعدةٍ، أو جائعٌ يلمتس الطعام، أو أرملةٌ فقدت عائلتها، وحوادثه في ذلك بالغة العِبْرة.

الحديث السادس والخمسون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الإيمان والعمل أخوان شريكان في قَرَنٍ، لا يقبل الله أحدهما إلَّا بصاحبه**». رواه ابن شاهين في "السنة".

الإيمان مَحَلُّه القلب، تظهر ثمرته علىٰ الجوارح، فإن كان القلب عامرًا بالإيمان الصادق ظهر أثره علىٰ الأعضاء بالطاعة والعمل الصالح.

أمَّا من يدَّعي الإيمان بلسانه وليس له نصيبٌ في عملٍ صالحٍ فإيمانه غير مقبولٍ لنقصانه، كما أنَّ العمل من غير المؤمن، غير مقبولٍ فلا تصحُّ صلاةٌ ولا صومٌ ولا زكاةٌ من كافرٍ، وكذلك سائر الأعمال الصالحة، وهذا معلومٌ لا يحتاج إلىٰ بيان.

و«قَرَن» في الحديث بفتح القاف والراء.

الحديث السابع والخمسون

عن عبدالله بن جَرَادٍ رضي الله عنه قال: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الآمر بالمعروف كفاعله**». رواه يعقوب بن سفيان في "مشيخته".

من أمر بمعروفٍ فعُمِل[1] به كان له ثواب العامل به، لأنه الذي أمر به، وأرشد إليه، ومثله حديث: «**الدالُّ على الخير كفاعله**». رواه ابن جميع في "مسنده" من حديث ابن عبَّاسٍ.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي مسعودٍ قال: جاء رجلٌ إلىٰ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: احملني، أي: أعرني ناقة تحملني، فقال: «**ما أجد ما أحملك عليه ولكن ائْتِ فلانًا فلعله يَحمِلُك**».

فأتاه فحَمَلَه، فقال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله**».

الحديث الثامن والخمسون

عن عبدالله بن مُغَفَّل رضي الله عنه قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ويلٌ للرَّاعي من الرَّعيَّة، إلَّا واليًا يحوطهم مِن ورائهم بالنَّصيحة**». رواه الرويانيُّ في "مسنده".

مسؤلية الحاكم شديدةٌ؛ لأنه يأتي يوم القيامة وللرعيَّة قِبَلَه حقوقٌ يطالبونه بها، فلا يلبث أن يهوي في جهنَّم مغلولًا مقيَّدًا، إلَّا إن كان ناصحًا لرعيَّته، لا يغشُّهم ولا يَبْخَسُهم شيئًا مِن حقوقهم، فإنه يكون من النَّاجحين الفائزين.

---

(١) بضمِّ العين وكسر الميم.

الحديث التاسع والخمسون

عن عمر رضي الله عنه قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الإيمان بالنيَّة واللسان، والهجرة بالنَّفس والمال**». رواه عبدالخالق بن زاهر في "الأربعين".

الإيمان لا يتمُّ إلَّا بأمرين: عقدٌ بالقلب، ونُطْقٌ باللسان. فلو اعتقد الإيمان بقلبه ولم ينطق بما يدلُّ عليه وهو الشَّهادة، فإن كان لعذرٍ، كخرسٍ، أو معاجلة الموت فهو مؤمنٌ، وإن لم يكن عذرٌ فليس بمؤمنٍ.

والهجرة من دار الكفر تكون بالنفس بأن يُفارق بلاد الكفَّار إلى بلاد المسلمين، وبالمال ينفقه في سبيل تحقيقها، كما فعل صهيبٌ رضي الله عنه، فإنه لما خَرَجَ مِن مكَّة مهاجرًا إلى المدينة اعترض طريقه المشركون ومنعوه، فأعطاهم مالًا له بمكَّة نظير تركهم له، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

الحديث الستون □

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**بين العبد والجنَّة سبع عقباتٍ، أهونها الموت، وأصعبها الوقوف بين يدي الله تعالى إذا تعلَّق المظلومون بالظالمين**». رواه أبو سعيدٍ النقَّاش في "معجمه".

«**سبع عقباتٍ أهونها الموت**»، ثُمَّ سؤال المَلَكين، ثُمَّ انتظار الحِساب في يوم كان مِقْداره خمسين ألف سنةٍ، وأَخْذُ الصحيفة المُسَجَّل فيها العمل من البلوغ إلى الممات، والوقوف عند الميزان لوزن الأعمال، والمرور على الصِّراط،

والسابعة وهي أصعبها: «**الوقوف بين يدي الله تعالى إذا تعلَّق المظلومون بالظالمين**» يُطالبون حقَّهم المهضوم، وليس هناك دينارٌ ولا درهمٌ، إنما هي الحسنات والسيِّئات، يأخذ المظلمون من حسنات الظالمين حتى يستوفوا حقَّهم، فإذا فَنِيتْ حسنات الظالمين أخذ من سيِّئات المظلومين وطرحت على الظالمين، ثُمَّ طُرحوا في النَّار.

الحديث الحادي والستون

عن أنسٍ رضي الله عنه أيضًا قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ بُدلاء أُمَّتي لم يدخلوا الجنَّة بصلاةٍ ولا صيامٍ، ولكن دخلوها بسخاء الأنفس، وسلامة الصُّدور، والنُّصح للمسلمين**». رواه الطبرانيُّ في "الأجواد".

«**لم يدخلوا الجنَّة بصلاةٍ ولا صيامٍ**»: أي وحدها. «**ولكن دخلوها**»: مع الصَّلاة والصِّيام. «**بسخاوة الأنفس**»: وذلك أنهم إذا أعطوا شيئًا في الله لم تتبعه نفوسهم، ولو كان شيئًا كثيرًا له بال. «**وسلامة الصُّدور**»: مِن الحِقْد والغِشِّ والحسد. «**والنُّصح للمسلمين**»: يُقدِّمون النَّصيحة لكلِّ مسلمٍ خالصةً لله لا يريدون غرضًا أو منفعةً.

الحديث الثاني والستون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**بِئس الكَسْبُ أجر الزَّمَّارةِ، وثَمَنُ الكَلْبِ**». رواه أبو بكر بن مقسم في "جزئه"

الزمارة والنَّاي والعُود وجميع آلات الغِناء يحرم بيعها وشراؤها، وكسبها خبيثٌ، وكذلك الكلب يحرم بيعه وشراؤه، لحُرمة أكله، ولنجاسته في مذهب

الشافعية[١] والحنفية، واقتناؤه في البيت يمنع دخول الملائكة، ويُنقص من عمل صاحب البيت كل يوم قيراط أجرٍ، إلَّا كلب الصيد أو الحراسة، فقد أَذِنَ الشَّارع في اقتنائه لما فيه من المصلحة.

الحديث الثالث والستون

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تجافوا عن عُقوبةِ ذوي المُروءَة**». رواه أبو بكر بن المزربان في كتاب "المُروءَة"، وأبو الشيخ في كتاب "الحدود".

ذووا المُروءَة: هم الذين يُعرفون بالخير، ويَخِفُّون لنجدة الضعيف ومساعدة المحتاج، فإذا حصل من أحدهم ذنبٌ من الصغائر التي ليس عليها حدٌّ في الشَّرع، وإنما فيها التعزير[٢]، فينبغي ألَّا يُعذَّر على ذنبه بل يُتغاضى عنه ويُتسامح رعايةً لمُروءته ونجدتة وفي "معجم الطبراني الأوسط" عن ابن

---

(١) ومع ذلك جوَّزوا بيعه وسمُّوه نقل اختصاص: أي يدفع الشخص نقودًا لصاحب الكلب نظير نقل اختصاصه من صاحبه إليه. وكذا يجوز عندهم بيع الأشياء النَّجسة المُحتاج إليها باسم نقل الاختصاص وهو تحايلٌ واضحٌ.

(٢) التعزير -بالعين المهملة والزاي-: عقوبةٌ يُحدِّدها الحاكم لذنبٍ ليس فيه حدٌّ شرعيٌّ، ويكون بضربٍ أو تأنيبٍ، أو نحو ذلك مما يراه الحاكم رادعًا.

قال الإمام الشافعيُّ: «سمعت من أهل العلم ممَّن يعرف الحديث يقول: يُتجافى للرجل ذي الهيئة عن عَثْرته ما لم يكن حدًّا، قال: وذو الهيئات الذين يقالون عثراتهم: الذين ليسوا يعرفون بالشرِّ فيزل أحدهم الزلَّة». قلت: وليس المراد بذي الهيئة: أن يكون حَسَنَ الثِّياب، أو صاحب مالٍ أو جاهٍ، مع خُلُوِّه مِن الخير.

مسعود مرفوعًا: «تجاوزوا عن ذَنْبِ السَّخيِّ فإنَّ الله يأخذ بيده عند عَثَرَاتِهِ». والسَّخيُّ من ذوي المروءة.

الحديث الرابع والستون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تَعلَّموا مِن العِلْمِ ما شِئتم فوالله لا تُؤجروا**[1] **بجَمْعِ العِلْمِ حتَّى تَعْمَلُوا**». رواه أبو الحسن ابن الأخرم المديني في "أماليه".

فائدة العلم - أيُّ علمٍ كان- هي: العمل به وتنفيذه. فالذي يتعلَّم العلوم الدينية يجب عليه أن يُنفِّذ ما فيها من أحكامٍ ليؤجر علىٰ علمه، وعلىٰ عمله به، أمَّا إذا لم يعمل فيكون إثمه مُضاعفًا، وكذلك العلوم التي تتعلَّق بالصناعات والاختراعات يجب تنفيذها وتحقيق نظرياتها بالتجربة، وما تأخَّر المسلمون إلَّا بتقصيرهم في هذه الناحية، فقد كان فيهم علماء في الكيمياء والطبيعة والهندسة وغيرها، ولم يحاولوا أن يحقِّقوا ما فيها من نظريَّات تحقيقًا عمليًّا إلَّا قليلًا منهم حاولوا ذلك في نطاقٍ ضيِّقٍ.

الحديث الخامس والستون

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تقرَّبوا إلى الله ببُغْضِ أهل المعاصي، والقوهم بوجوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ**[2]**، والتمسوا**

---

(١) بحذف النون أُجريت لا النافيه مجرىٰ لا الناهية، وقوَّىٰ ذلك هنا وحسَّنه وقوعها بعد القَسَم.

(٢) بضمِّ الميم وسكون الكاف وفتح الفاء وكسر الهاء وتشديد الراء: عابسة.

رضا الله بسُخْطِهم وتقرَّبوا إلى الله بالتباعُدِ منهم». رواه أبو حفص بن شاهين في "الأفراد".

يحضُّ الحديث على التقرُّب إلى الله ببغض أهل المعاصي المُدمنين لها، ولقائهم بوجوهٍ عابسةٍ، والتماس رضا الله بإسخاطهم في القول والفعل، والتباعد عنهم وعدم مُجالستهم. وجاء مثل هذا في القرآن أيضًا قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

فهذا نهيٌ عن مجالسة أهل المعاصي، وأخبر عن بني إسرائيل أنهم لُعِنُوا لأسبابٍ، منها عدم نهي بعضهم بعضًا عن المعاصي ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

الحديث السادس والستون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«تنظَّفوا بكلِّ ما استطعتم؛ فإنَّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنَّة إلَّا كلُّ نظيفٍ»**. أبو الصعاليك الطرسوسيُّ "في جزئه".

«بكلِّ ما استطعتم» من أنواع المنظِّفات **«فإنَّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة»** يعني: النظافة المعنوية والحِسِّيَّة.

أمَّا النظافة المعنوية: فعقيدته السليمة في الله، وفي رسله وأنبيائه.

وأمَّا النظافة الحِسِّيَّة: فإيجاب الغسل من الجنابة، وإيجاب الوضوء للصلاة، واشتراط الطهارة للمصلِّي في بدنه وثوبه ومكانه، وإيجاب الختان والاستحداد، وتأكيد السواك والغسل يوم الجمعة، واستعمال الطيب، وغير ذلك.

«**ولن يدخل الجنَّة إلَّا كلُّ نظيفٍ**» من أدران المعاصي، بأن يتنظَّف منها بالتوبة النصوح، فإن مات غير تائبٍ طُهِّر بالنَّار، ثُمَّ دخل الجنَّة طاهرًا نظيفًا.

الحديث السابع والستون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**التائبُ مِن الذَّنب كمن لا ذنب له، وإذا أحبَّ الله عبدًا لم يضره ذنبٌ**». رواه القشيريُّ في "الرسالة".

إذا تاب العبد من الذنوب توبةً صادقةً محا الله عنه ذنبه؛ فكان كمن لا ذنب له. «**وإذا أحبَّ الله عبدًا لم يضره ذنبٌ**» إمَّا بأن يوفِّقه للتوبة عقب كلِّ ذنبٍ، وإمَّا أن يختم له بعملٍ صالحٍ يمحو ما تقدَّم من ذنوبه. ومن دعاء الصوفية المؤخوذ من هذا الحديث: «اللهمَّ اجعل سيِّئاتنا سيِّئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت».

الحديث الثامن والستون

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**التضلُّع من ماء زمزم براءةٌ مِن النِّفاق**». رواه الأزرقيُّ في "تاريخ مكة".

ماء زمزم نبع مِن الأرض بضَرْب جناح جبريل -عليه السَّلام- ليسقي هاجر وابنها إسماعيل عليه السَّلام، وهو ماءٌ ليس بعَذْبٍ، فالذي يشربه

لايقصد التلذَّذ به، ولكن يقصد البركة والاستشفاء، والذي يتضلَّع ويُكثر منه مع عدم عذوبته يكون ثابت الإيمان، بريئًا من النفاق؛ لأنَّ المنافق ليس عنده الإيمان الذي يحمله على الإكثار من شرب ماءٍ غير عذب، لا لذَّة فيه عنده، ليتبرَّك بأثر جبريل.

الحديث التاسع والستون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاث دعواتٍ لا تُردُّ: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصَّائم، ودعوة المسافر**». رواه أبو الحسن ابن مهرويه في "الثلاثيات".

إنما كانت دعوة الوالد لا تردُّ لأنه يدعو لولده بقلبٍ مخلصٍ شفيقٍ، وأمَّا الصائم فلأنه يدعو وهو متلبِّسٌ بعبادة الصوم الذي لا يدخله رياء؛ لأنه سِرٌّ بين الله وبين عبده، أمَّا المسافر فلأنه يدعو في حالة اضطرار.

الحديث السبعون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافقٌ، وإن صام وصلَّى، وحجَّ واعتمر، وقال إني مسلمٌ: مَن إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا اؤتمن خان**». رواه رستة في "الإيمان"، وأبو الشيخ "في التوبيخ".

هذه الخصال الثلاثة من نفاق العمل، وهو مخالفة قول الشخص لعمله، يحدِّث زاعمًا أنه صادقٌ، وهو في الواقع كاذبٌ، ويَعِدُ بالشيء وهو ناوٍ ألا يفي به، ويُؤتمن على الأمانة من مالٍ أو سرٍّ أو عَرَضٍ فيخون، ولهذا لم تنفعه عبادته

من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وعمرة، ولا دعواه الإسلام بلسانه؛ لأنَّ الإسلام الكامل: أن يكون قول المسلم وفعله متوافقين.

الحديث الحادي والسبعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: حُرٌّ باع حُرًّا، وحُرٌّ باع نفسه، ورجلٌ أبطل كِراء أَجِيرٍ حين جفَّ رَشْحُهُ»**. راوه الإسماعيلي في "معجمه".

«لا ينظر الله إليهم يوم القيامة» نظر رحمةٍ ورضًا، ولكن ينظر إليهم نظر غضبٍ وعقابٍ. **«حرٌّ باع حرًّا»** بأن يسرق ولدًا من أبويه ويذهب به إلىٰ بلدٍ آخر فيبعه علىٰ أنه عبد.

وقد وقع هذا في كثيرٍ من البلدان، ووقع بسببه مآسي، وهذا رِقٌّ لا يُجيزه الشرع ولا يُقِرُّه القانون.

وكان مولانا الإمام الوالد -رضي الله عنه- يشتري هؤلاء الأرقَّاء المظلومين ويردُّ إليهم حريَّتهم. اشترىٰ مرَّةً بنتًا تسمَّىٰ مسعودة وأعتقها وجعلها كفردٍ من العائلة، وهي كانت مربِّيتي، وبعد مدَّة كبيرة نحو عشرين سنة، كانت في زيارة بعض صديقاتها فسمعت وصف جاريةٍ جيء بها من مراكش إلىٰ طنجة، فتقصَّت عنها فإذا هي أختها، فلما علم مولانا الإمام الوالد -رضي الله عنه- بذلك بعث إلىٰ سيِّدها فاشتراها منه وأعتقها، ومكثت عندنا في البيت مع أختها.

«وحرٌّ باع نفسه» لأنه رضي بذُلِّ الرِّقِّ والعبودية، وفي حديثٍ حسنٍ عن

جابرٍ: «نهي المؤمن عن إذلال نفسه». وأيضًا فإنه لا يملك أن يبع نفسه[1] كما

(١) مع أنه كان في بعض الشرائع السابقة يجوز بيع الرجل نفسه لغيره.
روىٰ الطبرانيُّ عن أبي أُمامة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «بينما الخَضِر ذات يومٍ يمشي في سوق بني إسرائيل أبصره رجلٌ مُكَاتبٌ، فقال: تصدَّق عليَّ بارك الله فيك. فقال الخَضِر: آمنت بالله، ما عندي شيءٌ أُعطِيكَهُ. فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدَّقت عليَّ، فإني نظرت السَّماحة في وجهك، ورجوت البركة عندك. فقال الخضر: آمنت بالله، ما عندي شيءٌ أُعطِيكَهُ، إلَّا أن تأخذني فتبيعني. فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟! قال: نعم، أقول: لقد سألتني بأمرٍ عظيم أما إني لا أُخيِّبك بوجه ربِّي، بِعْنِي. فأخذه فباعه بأربعمائة درهمٍ، فمكث عند المشتري زمانًا لا يستعمله في شيءٍ، فقال: إنما اشتريتني التماس خير عندي فأوصني بالعمل. قال: أكره أن أشُقَّ عليك إنك شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ. قال: ليس يشُقُّ عليَّ. قال: قم فانقل هذه الحجارة -وكان لا ينقلها دون ستة نفرٍ في يومٍ- فخرج الرجل لبعض حاجته ثُمَّ انصرف وقد نقل الحجارة في ساعةٍ، قال: أحسنت وأجملت وأطقت مالم أرك تُطيقُهُ. ثُمَّ عرض للرجل سفرٌ فقال: إني أحسبك أمينًا فاخلفني في أهلي خلافةً حَسَنةً. قال: وأوصني بعمل. قال: فاضرب من اللبن لبيتي حتى أقدم عليك، فمرَّ الرجل لسفره، فرجع وقد شيَّد بناءً. قال: أسألك بوجه الله ما سببك؟ فقال الخَضِر: سأخبرك مَن أنا؟ أنا الخَضِر الذي سمعتَ به، سألني مسكينٌ صدقةً فلم يكن عندي شيء أعطيه، فسألني بوجه الله، فأمكنته من رقبتي فباعني. وأخبرك أنه من سُئل بوجه الله فردَّ سائله وهو يَقْدِر، وقف يوم القيامة جِلْدُهُ ولا لحم له يتقعقع. فقال الرجل: آمنت بالله، شَقَقْتُ عليك يا نبي الله ولم أعلم، بأبي أنت وأُمِّي يا نبيَّ الله، احكم في أهلي ومالي بما شئتَ، أو اختر فأُخلِّي سبيلك، قال أُحبُّ أن تخلِّي سبيلي فأعبد ربي، فخلَّى سبيله. فقال الخَضِر: الحمد لله الذي أوثقني في العبودية، ثُمَّ نجَّاني منها».

لا يملك أن يزهقها[١]، «ورجل أبطل كِراء أجيرٍ حين جفَّ رَشْحُهُ». أي عرقه، ومعنى إبطال كِراءه أنه استأجر أجيرًا على عملٍ، فلما أتمَّه وطلب أجره ادَّعى عليه أنه سرق شيئًا يساوي أجرته، ولم يعطه شيئًا وعلى هذا القياس.

الحديث الثاني والسبعون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**جَهْدُ البلاءِ قِلَّةُ الصَّبر**». رواه أبو عثمان الصَّابونيُّ في "المائتين".

الجَهْد هو: المشقَّة، وقد استعاذ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من جَهْدِ البلاءِ، أي: مشقته التي لا يطقها الإنسان. وإنما تأتي المشقَّة من قلَّة الصبر أو عدمه، لأنَّ الصبر على البلاء يُهوِّنه ويُخفِّف وَطْأته، بسبب انتظار فرج الله، والأمل في نيل ثوابه. فإذا قلَّ الصبر أو عُدِم فُقِد الأمل، وضعفت مقاومة البلاء فشقَّ وقوعه، واشتدَّت وَطْأتُه، وهذا معنى جَهْدُ البلاءِ.

الحديث الثالث والسبعون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الجماعة بَرَكةٌ، والسُّحُور بَرَكةٌ، والثَّريد بَرَكةٌ**». رواه بن شاذان في "مشيخة".

«الجماعة بركة» لأنَّ في الجماعة من التعاون على الخير ما لا يتحقق مع

هذا الحديث يدلُّ على أنَّ بيع الرجل نفسه كان جائزًا في شريعة الخَضِر عليه السَّلام، لكنه في شريعتنا كبيرةٌ من الكبائر.

(١) إزهاق الإنسان نفسه، يُسمَّى الانتحار، وهو كبيرةٌ، وقد بيَّنتُ حكمه وذكرت ما ثبت فيه من الأحاديث في كتاب "قمع الأشرار عن جريمة الانتحار". طبع ونفد منذ مُدَّةٍ.

الفرقة. «والسُّحور بركة» لأنَّ الصائم يتناوله في وقت السَّحر، وهو وقتٌ مباركٌ، وأيضًا فهو يساعد الصائم علىٰ صيامه، وتلك بركةٌ منه. «والثريد بركة» لأنه يشتمل علىٰ خبزٍ ولحمٍ، وهما عماد الطعام وأساسه[١].

الحديث الرابع والسبعون

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الجُمُعةُ حَجُّ المساكين**». رواه حميد بن زنجويه في "الترغيب".

أهم أركان الحجِّ الوقوف بعرفة، حيث يخطب إمام المسلمين بالواقفين هناك يعلمهم أحكام الحجِّ وغيرها، والجمعة كذالك بالنسة للمساكين، حيث يجتمعون بالمصلِّين الذين قصدوا المسجد من أماكن مختلفةٍ، ويستمعون إلىٰ خطبة الإمام، ويصلُّون جميعًا خلفه كما في عرفات، والحديث يدل علىٰ فضل الجمعة.

الحديث الخامس والسبعون

عن أبي رافعٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حقُّ الوالد أن يعلِّمه الكتابة، والسباحة، والرماية، وألا يرزقه إلَّا طيِّبًا**». رواه أبو الشيخ في "الثواب".

تعليم الكتابة محاربةٌ للأُمِّيَّة، وعملٌ علىٰ محْوِها من أفراد المجتمع. ولو أنَّ

---

(١) في الحديث الشريف: «**وفضل عائشة على النِّساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام**».

وقال الشاعر:

إذا مـــا الخُبـــزُ تَأْدِمُـــهُ بلحـــمٍ فـــذاك أمانـــةِ الله الثَّريـــدُ

أمانة بالكسر، علىٰ إضمار حرف القسم.

كلَّ والدٍ نفَّذ هذا الحديث وعلَّم ولده الكتابة لما كان في الأُمَّة الإسلامية أُمِّيٌّ.

والسباحة من الواجبات الكفائية، وهي إلى جانب كونها رياضة تقوِّي الجسم وتكسبه مرونةً، لها فائدتها الهامَّة وهي إنقاذ الغرقى، وانتشال ما يسقط في البحر من موتى، ومال له قيمة، وربما انكسر المركب أو غرق فيستطيع الراكب السبَّاح أن يصل إلى البرِّ، أو إلى مركبٍ آخر مثلًا.

أمَّا تعليم الرِّماية فهو نافعٌ في التدريب على الجهاد، ومحاربة أعداء الدين، وإخوانهم المستعمرين، ولما تلى النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] قال: «**أَلَا إنَّ القوَّة الرَّمي، أَلَا إنَّ القوَّة الرَّمي، أَلَا إنَّ القوَّة الرَّمي**». وهوتفسيرٌ جامعٌ يشمل الرَّمي بأنواعه: ابتداءً من الرمي بالنبال... إلى الرمي بالقنابل والصواريخ.

والرزق الطيِّب هو الحلال، فيجب على الأب أن يطعم أولاده من مالٍ حلالٍ، لينبتوا نباتًا حسنًا، فتصفوا قلوبهم، وتستقيم أخلاقهم، ويُستجاب دعاؤهم.

الحديث السادس والسبعون

عن أنسٍ، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الحجُّ سبيل الله، تُضعَّفُ فيه النفقة سبعمائة ضعفٍ**». رواه سمويه في "فوائده".

الحجُّ مثل الجهاد، كلاهما سبيل الله، تُضعَّف فيهما النفقة، فمن أنفق درهمًا أعطي ثواب سبعمائة درهمٍ، ومن أنفق دينارًا أعطي ثواب سبعمائة دينارٍ، ومن أعطى فرسًا للركوب في الجهاد في سبيل الله أوالحجِّ، أعطي ثواب سبعمائة فرسٍ، وعلى هذا القياس.

الحديث السابع والسبعون

عن أبي هريره رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خلفت فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما: كتاب الله، وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ**».

رواه أبوبكرٍ الشافعيُّ في "الفوائد الغيلانيات".

معني الحديث واضحٌ لا يحتاج الي بيان، غيرأنَّ في الحديث نكتةٌ، نبينها لقلَّة من يتنبَّه لها، فقوله: «**ولن يتفرَّقا حتي يَرِدا عليَّ الحوضَ**» يفيد أنَّ الكتاب والسُّنَّة متوافقان، متآخيان لايوجد بينهما تناقضٌ أو تخالفٌ، وما يتوهَّمه بعض الناس من تخالفٍ بينهما ليس تخالفًا يفضي إلي التضارب ولكنه تخالفٌ بالعموم والخصوص، أو الإطلاق والتقييد، أو الإجمال والتبيين، أو نحو ذلك مما هو مُبيَّن في علم الأصول.

والحديث الذي يقول: «**اعرضوا حديثي على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته، ومالم يوافقه فلم أقله**».

حديثٌ مكذوبٌ كما قال الأئمَّة: الشافعيُّ، وعبدالرحمن ابن مهدي، وابن عبدالبر، وغيرهم.

غير أنَّ العلماء اختلفوا في نسخ القرآن بالسُّنَّة، فمنعه بعضهم استعظامًا لأن تكون السُّنَّة ناسخةً للقرآن، لكن إذا علمنا أنَّ السُّنَّة بوحيٍ من الله تعالىٰ زال الاستعظام، ولم يبقَ له محلٌّ، علىٰ أنَّ الإمام الشافعيَّ قال دَفْعًا للاستعظام المشار إليه: «لم تكن سُنَّةٌ ناسخةً للقرآن إلَّا ومعها قرآنٌ شاهدٌ لها ومؤيِّد».

الحديث الثامن والسبعون

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**دَثَرَ مكانُ البيتِ؛ فلم يحجُّه هودٌ ولا صالحٌ، حتَّى بوَّأه الله لإبراهيم**». رواه الزبير بن بكَّار في "الأنساب".

لما جاء الطوفان بدعاء نوحٍ عليه السَّلام، وعمَّ الشرق الأوسط، دَثَر مكان البيت الحرام ولم يعرف له أثرٌ، ولذلك لم يحجُّه هودٌ ولا صالحٌ عليهما السلام، لأنَّ الله تعالىٰ لم يتعبَّدهما بحجِّه، ولما جاء إبراهيم -عليه السَّلام- بوَّأه الله وأظهر له مكان البيت فبناه، لأنه أراد أن يجعله مولد خير خلقه، وقبلة أُمَّته.

الحديث التاسع والسبعون

عن عبدالله بن جعفرٍ -رضي الله عنهما- قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**دخلتُ الجنَّة فإذا جاريةٌ أَدْماءُ لَعْسَاءُ، فقلتُ: ما هذه يا جبريل؟! فقال: إنَّ الله تعالى عرف شهوة جعفر بن أبي طالبٍ للأُدْمِ اللُّعْس فخلق له هذه**». رواه جعفر بن أبي أحمد القمي في "فضائل جعفر"، والرافعي في "تاريخه".

أدماء: سمراء، والجمع أُدم بالضمِّ، ولعساء: لون شفتها يميل إلىٰ السواد قليلًا، وذلك يستملح عند العرب، والجمع لُعْسٌ بالضمِّ أيضًا.

والحديث يدل علىٰ فضل جعفر بن أبي طالب أخي عليٍّ رضي الله عنهما، وهو المعروف بذي الجناحين، قطعت يداه في غزوة مؤتة التي استشهد فيها، فعوَّضه الله منهما جناحين يطير بهما مع الملائكة.

الحديث الثمانون

عن أمِّ كرز رضي الله عنها، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب مستجابةٌ، ومَلَكٌ عند رأسه يقول: آمين، ولك بمثل ذلك**». رواه أبو بكر الشافعي في "الفوائد الغيلانيات".

إذا دعا المسلم لأخيه المسلم دعوة خيرٍ في غيبته أجاب الله دعاءه، وأعطاه مثل ما دعا به لأخيه، لإيثاره علىٰ نفسه.

الحديث الحادي والثمانون

عن عائشة رضي الله عنها، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الدنيا لا تنبغي لمحمَّدٍ ولا لآل محمَّدٍ**». رواه أبو عبدالرحمن السُّلميُّ في كتاب "الزهد".

كان بعض أمَّهات المؤمنين يطلبن التبسُّط في الدنيا والتوسُّع في المعيشة؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩].

فتلىٰ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الآية عليهن، وخيَّرهنَّ فاخترناه فقال هذا الحديث.

ومعناه: أنَّ التوسُّع في الدنيا وملذَّاتها، لا ينبغي له ولا لآله، لأنَّ الله اختار لهم ما عنده، وطهَّرهم من الدنيا وأوضارها.

الحديث الثاني والثمانين

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ذراري المسلمين يكفلهم إبراهيم**». رواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب "البعث".

إبراهيم عليه السَّلام أبو المسلمين بدليل قوله تعالىٰ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] فأطفال المسلمين الذين يموتون صغارًا يكفلهم إبراهيم ويرعاهم حتىٰ يردهم إلىٰ أبائهم وأُمَّهاتهم في الجنَّة، وتلك مزيَّةٌ اختصَّ الله بها من يموت من أطفال الأُمَّة المحمَّدية.

الحديث الثالث والثمانون

عن الزهريِّ، عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رَوِّحوا القلبَ ساعةً فساعةً**». رواه أبو بكر بن المقري في "فوائده".

يعتري القلوب مَلالٌ من الاستمرار في العمل، فينبغي ترويحها بشيءٍ من الفكاهة اللطيفة، والمزاح البرئ، حتىٰ تستعيد نشاطها وحيوتها.

وفي "صحيح مسلم" عن حنظلة بن الربيع الأسيدي -رضي الله عنه- أنه قال: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وما ذاك؟**». قلت: يا رسول الله نكون عندك تُذكِّرنا بالنَّار والجنَّة كأنَّا رَأْيُ عينٍ، فإذا خرجنا من عندك عافَسْنا الأزواج والأولاد والضَّيْعات نَسِينا كثيرًا. فقال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نفسي بيده إنْ لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذِّكر، لصافحتكم الملائكة على فُرُشِكم، وفي طُرُقكم،**

ولكن يا حنظلة، ساعةً وساعةً». ثلاث مرَّات، وهذا أصل المثل المشهور: «ساعة لقلبك، وساعة لربك».

الحديث الرابع والثمانون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«زيِّنوا العيدين بالتهليل والتكبير والتحميد والتقديس»**. رواه زاهر في كتاب "تحفة عيد الفطر".

جعل الله للمسلمين عيدين، يجيئان عقب ركنين من أركان الدين، عيد الفطر عقب صيام رمضان، وعيد الأضحىٰ عقب الحجِّ، فينبغي تزيينها معنويًا بذكر الله وأفضله أربع كلمات:

التهليل: أي قول: لا إله إلا الله. **والتكبير**: قول: الله أكبر. **والتحميد**: قول: الحمد لله. **والتقديس**: أي قول: سبحان الله.

والتزين الحِسِّي بلبس الثياب الجديدة، والاغتسال، ومسِّ الطيب مُرغَّبٌ فيه أيضًا، مع شيءٍ من اللهو المباح، والرياضة المرحة.

الحديث الخامس والثمانون

عن عبدالله بن عمرو، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«الزَّاني بحَلِيلَةِ جَارِهِ لا ينظُرُ الله إليه يوم القيامةِ ولا يُزكِّيه، ويقول له: ادخل النَّار مع الداخلين»**. رواه الخرائطيُّ في "مساوئ الأخلاق".

للجار علىٰ جاره حقوقٌ، أوجب الإسلام القيام بها ومراعتها، منها: حفظ عِرْضِهِ، وعدم التعرُّض لزوجته أو بناته بشيءٍ من الزنىٰ والفجور، فإن هَتَكَ

عِرْضَهُ وزنى بامرأته أو بنته أو قريبته لم ينظر الله إليه يوم القيامة نظر رحمةٍ، ولم يزكِّه، أي: لم يطهره بمغفرته، بل لابد أن يدخله النَّار، ويمسُّه عذابها جزاء ما مسَّ من امرأة جاره أو قريبته.

الحديث السادس والثمانون

عن عمر بن حُصينٍ رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سألتُ ربِّي ألَّا يدخل أحدًا من أهل بيتي النَّار فأعطانيها**». رواه أبو القاسم ابن بشران في "أماليه".

يُفيد الحديث أنَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شَفَعَ لأهل بيته ألَّا يدخلوا النَّار فقَبِلَ الله شفاعته فيهم، تكريمًا له وتبجيلًا.

الحديث السابع والثمانون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سألتُ ربِّي فأعطاني أولاد المشركين خَدَمًا لأهل الجنَّة، وذلك لأنهم لم يُدركوا ما أَدرك آباؤهم مِن الشِّركِ، ولأنَّهم في المِيثاقِ الأوَّل**». رواه أبو الحسن بن مَلَّة في "أماليه".

أولاد المشركين الذين يموتون قبل البلوغ، تعارضت فيهم الأحاديث أفاد بعضها: أنهم في الجنَّة. وأفاد بعضها الآخر: أنهم في النَّار مع آبائهم. وأفاد بعضها الآخر: أنَّ مصيرهم مجهولٌ لا يعلمه إلَّا الله. فجاء هذا الحديث مزيلًا للتعارض رافعًا للإشكال، حيث يُبيِّن أنَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سأل الله في أولاد المشركين فأعطاه إيَّاهم خَدَمًا لأهل الجنَّة. وعلَّل ذلك بعلَّتين:

إحداهما: أنهم لم يُدركوا ما أدرك آباؤهم من الشِّرك.

والآخرى: أنهم داخلون في الميثاق الأول، وهوالعهد الذي أُخذ على ذريَّة آدم يوم ألست بربكم، ولهذا ثبت في الصحيحين قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «وكلُّ مولودٍ يولد على الفِطْرةِ، فأبواه يُهوِّدانِهِ أو يُنصِّرانِهِ أو يُمجِّسانِهِ كما تُنْتَجُ البهيمة[1] بهيمةً جَمْعاء هل تُحسُّون فيها مِن جَدْعَاء؟ حتَّى تكونوا أنتم تَجْدَعُونها». ومن هنا رجَّح العلماء أنَّ أطفال المشركين يدخلون الجنَّة.

الحديث الثامن والثمانون

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال، قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «سُوءُ الخُلُقِ شُؤمٌ». رواه ابن شاهين في "الأفراد".

الإسلام يُنكر الشُّؤم الذي أُخِذ عن الجاهلية كالتشاؤم من نعيق الغُراب، أو يوم الأربعاء، أو من عددٍ مُعيَّن، أو لونٍ مُعيَّن، أو نحو ذلك، لأنه ليس لطائرٍ أو يومٍ أو عددٍ أو لونٍ دخلٌ في شؤمٍ أو غيره، والأمور تجري بمقادير الله تعالى.

وإنما يُثبت الإسلام شُؤمًا ناشئًا[2] عن فعل المكلَّف بسبب عِصْيانه، فسوء

---

(١) تُنْتَج: بضم التاء الأولى وسكون النون وفتح التاء الأخيرة، وهو من الأفعال التي جاءت على صيغة المبني للمجهول. والبهيمة مرفوعٌ فاعله، وبهيمةً منصوبٌ مفعوله.

(٢) قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

أي ما أصابك من خصلة حسنة، كصحة وخصب، وسعة مال فمن فضل الله وكرمه، وما أصابك من خصلة سيئة كفقر وجدب وضيق ومرض فمن نفسك أي

الخُلُق شؤمٌ على صاحبه؛ لأنه ينفِّر أصدقاءه منه، ويجعلهم يكرهونه، ويبعدون عنه، فيفقد مساعدتهم ومعاونتهم فيما يحتاج إليه، وربما أوقعه سوء خُلُقه في خُصوماتٍ ومُنازعاتٍ هو في غنًى عنها.

وروى أبو الفتح الصابونيُّ في "الأربعين" عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما من ذنبٍ إلَّا له عند الله توبةٌ إلَّا سوء الخُلُق، فإنه لا يتوب إلَّا رجع إلى ما هو شرٌّ منه**». فهذا الحديث بين نوعًا من شؤم سوء الخُلُق وهو أقبح أنواعه. وكما أنَّ سوء الخُلُق شؤمٌ، فإنَّ حُسْنَ الخُلُق يُمْنٌ، روى الخرائطي في "مكارم الأخلاق" عن عائشة -رضي الله عنها- عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اليُمْنُ حُسْنُ الخُلُق**»[1].

الحديث التاسع والثمانون

عن أبي موسى الأشعريِّ، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سلامةُ الرجلِ في الفِتنة أن يلزمَ بيتَه**». رواه الحافظ أبو الحسن بن المفضل المقدسي في "الأربعين المسلسلة"[2]. إذا وقعت فتنةٌ بين طائفتين من المسلمين، فالواجب السعي في الإصلاح بينهما، فإن تعذَّر الإصلاح لسببٍ من الأسباب، فالواجب

من شؤم معصيتها، واتباعك لهواها.

(١) لأنَّ صاحبه محبوبٌ عند الله وعند الناس.

(٢) هذه "الأربعون المسلسلة" رواها عنه تلميذه الحافظ المنذريُّ صاحب "الترغيب والترهيب"، وكان أبو الحسن بن الفضل مالكيَّ المذهب، وهو حافظٌ ناقدٌ، وقرأت لابن البنَّا جزء "السكوت ولزوم البيوت"؛ نفيسٌ في بابه.

اعتزال الفِتنة ولزوم البيت، كما فعل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فإنه لزم بيته بالعقيق زمن الفتنة بين الصحابة، أمَّا الدخول في الفتنة فهو دخولٌ في نار جنَّهم يوم القيامة، لأنه لا محالة قاتلٌ لمسلمٍ، أو مؤذٍ له بيده أو لسانه.

وفي الصحيحين عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا التقى المُسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتول في النَّار**». قيل: هذا القاتل فما بال المقتول؟! قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»(١).

الحديث التسعون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سيِّد الشُّهداء جعفر بن أبي طالبٍ، معه الملائكة، لم يُنْحَلْ ذلك أحدٌ ممَّن مضى من الأمم غيره، شيءٌ أكرم الله به محمَّدًا**». رواه أبو القاسم الحُرْفي(٢) في "أماليه".

جعفر هو أخو عليٍّ عليهما السلام، استشهد في غزوة مؤتة، بعد أن قطعت يداه فعوَّضه الله منهما جناحين يطير بهما مع الملائكة، ولم يُعطَ أحدٌ من الأمم

(١) لكن قتال البغاة واجبٌ بنصِّ القرآن: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] ومن ثَمَّ كان قتال عليٍّ -عليه السَّلام- لمعاوية وأتباعه واجبًا، لأنهم بغاةٌ بإجماع العلماء، كما قال النوويُّ، وقال الشافعيُّ وغيره: «عُرف من قتال عليٍّ لمعاوية وأهل النهروان أحكام مقاتلة البغاة، ومعاملتهم من حيث الأَسْرِ وغيره».

(٢) بضم الحاء المهملة وسكون الراء: نسبة إلى بيع الحرف، وهو حبٌّ يُباع عند العطَّار، يُستعمل في بعض الأدوية.

السابقة هذه الفضيلة غيره، لأنه ابن عمِّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وجاد بنفسه بعد تمزيق جسمه في سبيل دين الله تعالىٰ، فلا غرو أن كان سيِّد الشهداء بعد عمِّه حمزة عليه السلام، وهو الذي استشهد في أُحُدٍ بعد أن أثخن في المشركين يوم بدرٍ.

الحديث الحادي والتسعون

عن أنسٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**سيُّد القومِ خادمهم، وساقيهم آخرهم شُرْبًا**». رواه أبو نعيم في "الأربعين الصُّوفية".

«**خادم القوم في الدنيا سيُّدهم في الأخرة**» كما جاء في رواية أخرىٰ، لأنه لما تواضع لهم رَفَعَهُ الله، وجاء في "تاريخ نيسابور" للحاكم من حديث سهل بن سعدٍ: «**سيّد القوم في السَّفَر خادمهم، فمن سبقهم بخدمةٍ لم يسبقوه بعملٍ إلَّا الشَّهادة**». وظاهر أنَّ المراد الخادم المقطوع لا الخادم المأجور، لأنه يقوم بالخدمة نظير أجره، نعم يُثاب علىٰ صِدْقه وإخلاصه في عمله. «**وساقيهم آخرهم شربًا**». هذا هو الثابت من عمل النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فإنه لما أمر أبا هريرة أن يدعو أهل الصُّفَّة ليسقيهم[1] واحدًا بعد آخر، حتىٰ إذا فرغوا أمر أبا هريرة أن يشرب، حتىٰ إذا اكتفىٰ وروي[2] أخذ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الآنية وشرب الفضلة، وهذا من أدب الصُّحبة، وحُسْنِ الضِّيافة.

---

(١) وقع هنا سقط من الناسخ وتمامه لبنًا أهدي إليه، وحضروا وأمر أبا هريرة بسقيهم.

(٢) بفتح الراء وكسر الواو وفتح الياء.

الحديث الثاني والتسعون

عن أنسٍ أيضًا -رضي الله عنه- قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «سَيُشْدُدُ هذا الدِّين برجالٍ ليس لهم عند الله خَلَاقٌ». رواه المحامليُّ في "أماليه".

«خَلَاق»: نصيب، والمعنىٰ: أنَّ الله تعالىٰ سَيَشُدُدُ الإسلام ويؤيِّده برجالٍ ليس لهم عند الله نصيبٌ في الآخرة، وهم المستشرقون.

كما قال شقيقنا الحافظ أبو الفيض -رحمه الله- في كتاب "مطابقة الأحوال العصرية لما أخبر به سيد البرية" ذلك لأنهم طبعوا المصحف الشريف طبعةً متقنةً صحيحةً، وطبعوا كثيرًا من كتب التفسير والحديث، وطبقات الصحابة والتابعين، و"تاريخ مكة" و"الفتوح الإسلامية"، وعملوا معجمًا لآيات القرآن الكريم وكلماته، كما عملوا معجمًا لكلمات الحديث الموجودة في الكتب الستة و"الموطأ" وغيرهما، بحيث يمكن استخراج الحديث من تلك الكتب بسهولةٍ ويُسْرٍ، وطبعوا "الإرشاد" لإمام الحرمين في التوحيد وغير ذلك[1]

---

(١) من كتب التصوف والقراءات، وإن كانوا يُعلِّقون علىٰ بعض هذه الكتب تعليقات فيها مطاعن ومغامز. مثلًا المستشرق الذي طبع كتاب "المصاحف" لابن أبي داود كتب له مقدِّمة باللغة الإنجليزية حاول فيها أن يلقي من تعدُّد المصاحف والقراءات الشَّاذَّة ظلالًا من الشَّكِّ علىٰ المصاحف المتواترة الموجودة بين أيدي المسلمين، والتي يحفظونها بشَدَّاتها ومَدَّاتها ويُحافظون علىٰ مخارج حروفها، وهيهات أن يصل إلىٰ ذلك.

ورأيت أخيرًا قطعة من "سيرة ابن اسحاق" طبعت في لندن بالإنجليزية وجلدت تجليدًا مزخرفًا بالذهب مثل المصاحف، وقد قام صديقٌ لنا بترجمتها إلىٰ العربية، ولم

ولا شكَّ أنَّ هذا تأييدٌ للدِّين وعضد له برجالٍ كُفَّار ليس لهم عند الله نصيبٌ يوم القيامة، وفي الحديث معجزةٌ نبوية في الإخبار بأمورٍ غَيْبيَّةٍ وهي كثيرةٌ.

الحديث الثالث والتسعون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**سيكون بعدي قُصَّاصٌ لا يَنظرُ الله إليهم**». رواه أبو عمر بن فضالة في "أماليه".

القُصَّاص هم الوعَّاظ، لأنهم يذكرون قصص الأنبياء والصالحين، ويَعِظون الناس بما فيها من عِبَرٍ وحكمةٍ، والوعَّاظ في هذا العصر وقبله كثيرٌ، منهم من يخالف قوله عمله، أو يقصد بوعظه إظهار فصاحته، والتشدُّق بحسن بيانه، وقد يبكي بعضهم فيُبكي الناس معه وهو مُتصنِّعٌ للبكاء؛ فلهذا لا ينظر الله إليهم نظر رضا، ولكن نظر غضبٍ وعقوبةٍ، وهذا الحديث من الأخبار بالغيب كسابقه.

الحديث الرابع والتسعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**السَّكِينة مغنم وتركها مغرم**». رواه الإسماعيلي في "معجمه".

السكينة: وهي الوقار، مغنم يغنم بها صاحبها احترام الناس له، وتقديرهم لكلامه، وتركها وهو الخفة والطيش مغرم: أي خسارة يخسر صاحبها احترام الناس وتقديرهم فلا يبقىٰ له عندهم وزن.

يجدوا مطعنًا إلَّا في موضعين أو ثلاثة، سنعرض لها بالردِّ والتفنيد عند تعليقنا عليها إن شاء الله، لتقديمها إلىٰ المطبعة.

الحديث الخامس والتسعون

عن علي عليه السلام، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليبلِّغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة مَن لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة مَن لا يستطيع إبلاغها إيَّاه ثبَّت الله قدميه يوم القيامة**». رواه الفقيه نصر في "فوائده". ورواه ابن شاذان في "مشيخته الصغرىٰ" عن الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام.

«**ليبلغ الشاهد الغائب**»: هذه الكلمة قالها النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في خطبته في حجَّة الوداع، ومعناها: إيجاب تبليغ دعوة الإسلام وأحكامه إلىٰ جميع الناس، فكلُّ مَن علم شيئًا من أحكام الدين وقواعده وجب عليه أن يبلغه إلىٰ من لم يعلمه، وذلك في حدود استطاعته.

«**وأبلغوني**»: بصفتي خليفة الله أُقيم حكمه في عباده.

«**حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته**»: لهيبته أو حيائه منِّي أو لغير من الأسباب.

ويؤخذ من الحديث أنَّ الوالي - خليفةً كان أو ملكًا أو سلطانًا أو رئيس جمهورية- يتعيَّن عليه أن يُعيِّن أناسًا يثق بهم ليُبلِّغوه مطالب الضُّعفاء والمغلوبين الذين لا يستطيعون الوصول إليه لكثرة حُجَّابه وشُرَطِهِ وأعوانه، فالنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يكن عنده حَجَبةٌ ولا شُرَطٌ، وكان بابه مفتوحًا لكلِّ زائرٍ، ومع ذلك أمر أصحابه أن يبلِّغوه حاجة من لا يستطيع إبلاغها مبالغةً في الاحتياط، وخروجًا من المسؤلية.

«**فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة مَن لا يستطيع إبلاغها إيَّاه**» سواء أقضها السلطان أم لم يقضِها «**ثبَّت الله قدميه يوم القيامة**» على الصراط فلا تزل قدمه، لأنه ثبت حاجة الضعيف بإيصالها إلي السلطان.

الحديث السادس والتسعون

عن يزيد بن شجرة، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**السُّيوفُ مفاتيحُ الجنَّةِ**». رواه أبو بكرٍ الشافعيُّ في "الغيلانيات".

«**السُّيوف مفاتيحُ الجنَّةِ**» كنايةٌ أريد بها أنَّ الشَّهيد يدخل الجنَّة، فكأنَّ السَّيف الذي استُشهد به فتحَ له أبوابها.

الحديث السابع والتسعون

عن يزيد بن ثابتٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**السُّيوف أرْدِيةُ المُجاهِدين**». رواه المحامليُّ في "أماليه".

أرديةٌ: جمع رِداء، وفي الحديث تشبيهٌ بليغٌ، شبَّه السَّيف الذي يُدافع به المجاهد عن نفسه بالرِّداء الذي يَدْفعُ عن لابِسه غائلة البرد.

الحديث الثامن والتسعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**الشَّحيحُ لا يدخلُ الجنَّة**». رواه الخطيب في كتاب "البخلاء".

«**الشَّحيحُ لا يدخلُ الجنَّة**» حتَّى يُعذَّب على الحقوق التي لم يؤدِّها في الدنيا، كالزكاة ونحوها، فإن كان قد أدَّى الحقوق المفروضة، وشحَّ بالإنفاق في وجوه

البرِّ والخير، فإنه لا يدخل الجنَّة مع الذين سبقوه بالإنفاق، بل يتأخَّر في الدخول كما تأخَّر في الإنفاق.

الحديث التاسع والتسعون

عن فاطمة الزهراء عليها السَّلام قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**شِرارُ أُمَّتي الذين غُذُّوا بالنَّعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثِّياب، ويتشدَّقون في الكلام**». رواه ابن أبي الدنيا في "ذمِّ الغيبة".

إنما كان هؤلاء شرار الأُمَّة، لأنهم أسرفوا بأكل ألوان الطعام، ولبس ألوان الثياب، والله لا يحبُّ المسرفين، ولأنهم مُبذِّرون، والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧] ولأنهم يتشدَّقون في الكلام، يغتابون الناس، وينالون من أعراضهم، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

الحديث المائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**شهر رمضان يُكفِّر ما بين يديه إلى شهر رمضان المُقبل**». رواه ابن أبي الدنيا في "فضل رمضان".

«**شهر رمضان يُكفِّر ما بين يديه**»: من الصغائر بدليل الحديث الصحيح: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكفِّراتٌ لما بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائر**». أمَّا الكبائر فلا يُكفِّرها إلَّا الحدُّ، أو التوبة.

الحديث الحادي والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**الشَّعر الحَسَن أَحَدُ الجمالين، يَكْسُوه اللهُ المرءَ المسلم**». رواه زاهر بن طاهر في "خماسياته".

الشَّعر الذي يكون للرجل هو شعر رأسه وشعر لحيته، فإن كان جميلًا، بأن لم يكن جَعْدًا، ولا منفوشًا مثلًا كان أحد الجمالين، والجمال الأخر جمال الصورة، والحديث يُفيد الحضَّ علىٰ إبقاء شعر الرأس واللحية، وتجميله بترجيله ودهانه، وكذلك شعر رأس المرأة يزيدها جمالًا فلا ينبغي أن تأخذ منه، لأنه يُنقص من جمالها.

الحديث الثاني والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الشيخ يَضْعُفُ جِسمُهُ وقَلْبُهُ شابٌّ على حبِّ اثنتين: طولِ الحياة، وحبِّ المال**». رواه الحافظ عبدالغني بن سعيد في "إيضاح الإشكال".

الشيخ الذي تقدَّم في السنِّ بأن بلغ الستين، يضعف جسمه لكبر سِنِّه، لكن قلبه يظلُّ شابًّا صغيرًا بالنسبة لأمرين: تعلُّقه بالحياة وتشبُّثه بها، وحبُّه لجمع المال.

الحديث الثالث والمائة

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صاحب السُّنَّة إن عَمِل خيرًا قُبِل منه، وإن خَلَط غُفِر له**». رواه الخطيب في "المؤتلف والمختلف".

المتمسِّك بسُنَّة النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، النابذ للتقليد في دينه «**إن عمل خيرًا قُبِل منه**» لأنه عمله اتباعًا للسُّنَّة، وإن خَلَطَ عملًا صالحًا بآخر سيِّء غُفر له، لأنَّ حرصه علىٰ اتباع السُّنَّة والعمل بها يَجْبُر ما صَدَر منه من تخليطٍ، وفي هذا بشارةٌ لأهل الحديث، جعلنا الله منهم.

الحديث الرابع والمائة

عن ثوبان رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**صاحبُ الصفِّ، وصاحب الجُمُعة، لا يفضل هذا على هذا، ولا هذا على هذا**». رواه أبو نصر القزويني في "مشيخته".

«**صاحب الصفِّ**» في الجهاد، «**وصاحب الجُمُعة**» الذي يؤدِّيها بشروطها وآدابها، مستويان في الفضل عند الله، والحديث يفيد مساواة حضور الجمعة للجهاد في سبيل الله؛ لأنها تشتمل علىٰ الخطبة، وهي درسٌ علميٌّ أسبوعيٌّ يعرف منه المصلُّون ما يجب عليهم معرفته، ولأنها فرض عينٍ والجهاد فرض كفايةٍ.

الحديث الخامس والمائة

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**صَدَقةُ السرِّ تُطفِئ غضب الربِّ**». رواه العسكري في "السرائر".

«**صدقة السرِّ**» التي يُخفيها صاحبها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. «**تُطفئ غضب الربِّ**» لأنها خالصةٌ له، بعيدةٌ عن الرياء، والمراد بغضب الرب: جهنَّم التي يدخلها من غضب الله عليه، فالصدقة تُطفئ حرَّ جنَّهم عن المتصدِّق، وتكون وقايةً له منها.

الحديث السادس والمائة

عن عمرو بن عوف رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**صَدَقةُ المرءِ المسلم تزيد في العُمُرِ، وتمنع مِيتة السُّوء، ويُذهب الله تعالى بها الفَخْرَ والكِبْرَ**». رواه أبو بكر بن مقسم في "جزئه".

للمسلم عُمُران: عُمُرٌ محدَّدٌ عند الله لا يعلمه غيره، وعُمُرٌ مردَّدٌ بين الزيادة والنقص عند مَلَكِ الموت، يقال له عمر فلان سبعون سنةً إن تصدَّق أو برَّ والديه، وخمسون سنةً إن لم يفعل ذلك، وهذا هو المراد في الحديث، وحِكمته إظهار فضل الطاعة ليعرفه مَلَك الموت وغيره من الملائكة فيحبُّوه إن أطاع ويثنوا عليه.

و«**مِيتة السُّوء**» تشمل نوعين: أن يموت الشخص علىٰ معصية غير تائبٍ منها، أو يموت في مرضٍ ناشئ عن معصيةٍ.

وأمَّا ذهاب الفَخْرِ والكِبْرِ فلأنَّ المتصدِّق يتصل بالفقراء والمساكين، ويرىٰ ما فيهم من حاجةٍ وبؤسٍ، ويعلم أنَّ الله لو شاء لجعله مثلهم أو أقل منهم، وأنَّ الغنىٰ ليس مضمونًا له علىٰ الدوام، فلا يبقىٰ للفخر ولا للكبر عنده محلٌّ.

الحديث السابع والمائة

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صلِّ صلاة مُودِّعٍ كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، وايأس ممَّا في أيدي النَّاس تَعِشْ غنيًّا، وإيَّاك وما يُعتذر عنه**». رواه أبو محمَّد الإبراهيميُّ في كتاب "الصَّلاة".

«**صلِّ صلاة مُودِّعٍ**» للحياة يظنُّ ألَّا يعيش بعدها فيُتقن سجودها وركوعها، ويُحسن خشوعها. وصلِّ أيضًا «**كأنك تراه**» أي ترىٰ الله وذلك يحملك علىٰ إتقان الصَّلاة لأنك ترىٰ من تُصلِّي له. «**فإن كنت لا تراه**» لغَلَبة حجاب الغفلة عليك «**فإنه يراك**» لا يحجبه عنك شيءٌ فأتقن عبادتك «**وايأس ممَّا في أيدى النَّاس**» لا تمد إليهم عين الطمع، ولا يد السؤال «**تعش غنيًّا**» عنهم لا تحتاج إليهم. «**وإيَّاك وما يعتذر منه**» أي: احذر أن تفعل ما يحوجك إلىٰ الاعتذار، فلا تقل كلمة تضطر إلىٰ الاعتذار عنها لأحدٍ، ولا تفعل شيئًا يسيء إلىٰ شخصٍ، فتعتذر إليه، لأنَّ ذُلَّ الاعتذار يأباه الأحرار.

الحديث الثامن والمائة

عن ابن عمر أيضًا رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صَمْتُ الصَّائمِ تسبيحٌ، ونومه عبادةٌ، ودُعاؤه مُستجابٌ، وعمله مُضاعفٌ**». رواه أبو زكريا ابن منده في "أماليه".

«**صمتُ الصَّائمِ تسبيحٌ**» لأنه في طاعة الصوم، وهذا تشبيهٌ بليغٌ، شبَّه صمت الصائم عن اللَّغو والغيبة ونحوهما بتسبيح المُسبِّح.

«**ونومه عبادةٌ**» لأنه يستعين به علىٰ قيام الليل في رمضان. وقولهم: «نوم الظالم عبادةٌ» ليس بحديثٍ.

«**ودعاؤه مستجابٌ**» عند فطره لأنه يكون عقب انتهاء عبادة الصيام، وجوفه خالٍ من الطعام. «**وعمله مُضاعفٌ**» أي: صيامه مضاعفٌ، كما ثبت في أحاديث أخرىٰ.

الحديث التاسع والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صلِّ الصبح والضحى، فإنها صلاة الأوَّابين**». رواه زاهر بن طاهر في "سداسياته".

الأوَّابون: هم الرجَّاعون إلى الله تعالى، إن عصوا رجعوا إليه بالتوبة والاستغفار، وإن احتاجوا بسطوا إليه يد السؤال والافتقار، وإن أصابتهم ضرَّاء لجأوا إليه بالتضرُّع والدعاء، وإن أصابتهم نعماء أذعنوا له بالشكر والثناء، فهم في جميع أحوالهم يستندون إليه، وفي كلِّ ما يعرض لهم معتمدون عليه، والمواظبة على صلاة الضحى دأبهم وعادتهم، لأنَّ من صلاها أول النهار كفاه الله آخره، وذكر الصبح معها تنبيهًا على أنها لا تنفع إذا ضُيِّعت صلاة الصبح، بإيقاعها خارج وقتها بعد طلوع الشمس، إلَّا لمن غَلَبه النوم، فلم يستيقظ إلَّا بعد الشروق فلا إثم عليه.

الحديث العاشر والمائة

عن قتادة[1] بن مِلْحَان رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صُوموا أيام البِيض: ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر. هنَّ كنز الدهر**». رواه أبو ذر الهروي في جزء من حديثه.

---

(١) هذا صحابيٌّ، وهو غير قتادة بن دِعَامة السَّدوسيِّ التابعيِّ، وغير قتادة بن النعمان الصحابيِّ الذي وقعت عينيه في غزوةٍ فأخذها في يده، فجاء بها إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأخذها بيده الشريفة وردَّها إلى موضعها، وقال: «**اللهم اكسُه جمالًا**». فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما نظرًا.

«صُوموا» ندبًا «أيام» الليالي «البِيض: ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر» سُمِّيت ليالي هذه الأيام بيضًا؛ لأنها بيضاء مشرقةً بنور القمر، والعامَّةُ هنا في مصر يسمُّون الأيام الستة بعد عيد الفطر الأيام البِيض وهوخطأٌ. «هُنَّ» أي: الأيام الثلاثة المذكورة «كنز الدهر» لأنَّ صيام كلِّ يومٍ منها بعشرة، فهي تساوي صيام شهر، والدهر الذي هو العام يتألَّف من الشهور، وتلك الأيام لقلَّة عددها وكثرة ثوابها، أشبهت الكنز الذي يكون قليلًا في نفسه، كبير القيمة بما يحوي باطنه من جواهر غاليةٍ.

تنبيه: قيل في سبب تسمية الأيام الثلاثة بالبيض: أنَّ آدم لما نزل من الجنَّة سوَّدت الشمس جسده، فأُمر بصيامها، فلمَّا صام أول يوم ابيضَّ ثلث جسده، وابيضَّ باقيه في تاليه.

وقيل: لأنَّ آدم اسودَّ جسده من أكل الشجرة فصامها، فابيضَّ في كلِّ يومٍ ثلثه. وهذان القولان غير صحيحين، بل هما أشبه بالخرافات والأساطير.

الحديث الحادي عشر والمائة

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صلاةُ المسافرِ بمِنًى وغيرها ركعتان**». رواه أبو أمية الطرسوسيُّ في "مسنده".

لما هاجر الصحابة أهل مكة إلىٰ المدينة واستوطنوها، ثُمَّ حجُّوا مع النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حجَّة الوداع ظنُّوا أنهم صاروا مقيمين حين وصلوا إلىٰ بلدهم، وأنَّ عليهم أن يُتِمُّوا الصَّلاة أربع ركعاتٍ، فأخبرهم النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: أنهم مسافرون يقصرون الصلاة، وأنَّ أهل مكة الذين

خرجوا معهم إلىٰ مِنًى مسافرون، يقصرون الصَّلاة أيضًا، وهي رخصةٌ عظيمةٌ، قُصد بها التخفيف عن الحُجَّاج خصوصًا، وعن المسافرين عمومًا.

الحديث الثاني عشر والمائة

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الصُّورةُ الرأسُ، فإذا قُطِعَ الرأسُ فلا صُورةَ**». رواه الإسماعيليُّ في "معجمه".

حرَّم الشارع اقتناء الصورة، وأخبر أنَّ الملائكة لا تدخل بيتًا هي فيه، فبيَّن هذا الحديث أنَّ تلك الصورة هي التي تكون بالرأس، كأن يُصنع تمثالٌ -رجلٌ أو حيوانٌ- كاملًا بالرأس، فيحرم اقتناؤه، وتمتنع الملائكة من دخول بيت يكون موجودًا فيه. فإن قُطع رأسه وأُزيل؛ جاز اقتناؤه ولم تمتنع الملائكة منه، وكان علىٰ باب بيت النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تمثالٌ فقال له جبريل عليه السَّلام: «**مُر برأس التمثال فَلْيُقْطَع، فيصير كهيئة الشَّجرة**». راجع الحديث رقم (٣٨) من "الكنز الثمين" فهو سبب ورود هذا الحديث.

وقال بعض العلماء: يجوز اقتناء التمثال أيضًا إذا كان علىٰ هيئةٍ لا يعيش الحيُّ معها، كأن يكون في بطنه ثقبٌ كبيرٌ مثلًا، وقاسوه علىٰ قطع الرأس، وهذا ليس بصحيحٍ؛ فإنَّ رأس التمثال هو الصورة كما في الحديث، به يكون متميزًا الإنسان عن غيره، والجسم بدونه لا فرق بينه وبين شجرةٍ أو حائطٍ، وأيضًا فإنَّ التمثال خالٍ من القلب والكبد والأمعاء، والحيُّ لا يعيش بدون هذه الأشياء، ولم يعتبر الشارع ذلك، بل علَّق الجواز علىٰ قطع الرأس، فدلَّ علىٰ فساد القياس المذكور.

الحديث الثالث عشر والمائة

عن عمر رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**الصَّلاة عَمُودُ الدِّين**». رواه أبو نعيمٍ الفضل[١] بن دُكَينٍ في كتاب "الصلاة".

الصَّلاة أهمُّ ركنٍ في الإسلام بعد الشهادتين، فلذلك سُمَّيت عمود الدِّين، أي: عِماده الذي يستند إليه، فإذا انخَرَمت انخرم الدِّين، وحسبك دليلًا علىٰ أهمِّيتها: أنَّ الشارع اعتبر تاركها كافرًا، ولم يُبِح تركها للرجل إلَّا في حال زوال عقله، وأسقط عن المرأة قضاء ما فاتها من الصلوات أيام الحيض؛ تيسيرًا عليها لأنَّ الحيض يتكرَّر كل شهرٍ، وتسقط الصلاة في حالةٍ أخرىٰ: وهي ما إذا لم يجد المُكلَّف ماءً للوضوء، ولا ترابًا يتيمَّم[٢] به حتىٰ خرج وقت الصلاة، فإنها تسقط عنه، ولا يُطلب بقضائها، علىٰ قول مالك.

الحديث الرابع عشر والمائة

عن معاذٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الضَمَّةُ في القَبْرِ كفَّارةٌ لكلِّ مؤمنٍ، لكلِّ ذنبٍ بقي عليه لم يُغفر له**». رواه الرافعيُّ في "تاريخ قزوين".

---

(١) يروي عنه البخاريُّ في "الصحيح"، وهو غير أبي نعيمٍ أحمد بن عبدالله الأصفهانيِّ، صاحب "الحلية" و"دلائل النبوة" وغيرهما.

(٢) كالمصلوب لا يستطيع الوضوء ولا التيمُّم، فلو خرج وقت الظهر مثلًا بأن غابت الشمس وهو كذلك، ثُمَّ فُكَّ صَلْبُه، فلا يَقضي الظهر ولا العصر، وفي المسألة أقوالٌ وتفصيلاتٌ مبسوطةٌ في كتب الفقه.

إذا وضع الميت في قبره ورُدَّ عليه التراب ضمَّه القبر ضمَّةً شديدةً يَصْرُخُ منها صُراخًا لو سمعه المشيِّعون له أُغشي[١] عليهم، فإن كان الميت كافرًا فضمَّته ضمَّة عذابٍ، تختلف منها أضلاعه، وإن كان مؤمنًا، فضمَّته ضمَّة عِتابٍ، ولذلك تكون دُون شِدَّة ضمَّة الكافر، ثُمَّ تكون ضمَّة المؤمن تكفيرًا لما بقي عليه من الصغائر، لم يُكفَّر بالأمراض والمصائب والآفات.

الحديث الخامس عشر والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«الضِّيافةُ ثلاثة أيامٍ، فما زاد فهو صدقةٌ، وعلى الضَّيفِ أن يتحوَّل بعد ثلاثة أيامٍ»**. رواه ابن أبي الدنيا، في كتاب "قِرَىٰ الضَّيف".

الضِّيافة الواجبة ثلاثة أيامٍ إذا قصد الضيف أهل منزلٍ بزيارته[٢]، فما زاد عن ثلاثة أيامٍ فهو صدقةٌ مندوبةٌ غير واجبةٍ، ويجب علىٰ الضيف أن يتحوَّل

---

(١) ورویٰ ابن أبي داود في كتاب "البعث" عن أنسٍ رضي الله عنه قال: تُوفِّيت زينب بنت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فخرج بجنازتها وخرجنا معه، فرأيناه كئيبًا حزينًا، ثُمَّ دخل قبرها، فخرج ملتمع اللون، فسألناه عن ذلك؟ فقال: **«إنها كانت إمرأةً مِسْقامًا، فذكرتُ شِدَّةَ الموت، وضَغْطةَ القبر، فدعوتُ الله فخفَّفَ عنها»**.

وفي رواية للطبرانيِّ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دخل قبرها فالتمع وجهه صفرةً، فلما خرج أسفر وجهه، قال أنسٌ: فقلنا: يا رسول الله رأينا منك شأنًا، فما ذاك؟ قال: **«ذكرتُ ضغطة ابنتي، وشِدَّة عذاب القبر، فأتيت فأُخبرتُ أن قد خُفِّف عنها، ولقد ضُغِطَتْ ضغطةً سمع صوتها ما بين الخَافِقين»**.

(٢) أما إن اجتاز مارًا بهم في طريقه فالضيافة يوم واحد.

بعد ثلاثة أيام لئلَّا يُحرج أهل المنزل، والضِّيافة مِن محَاسِن عادات العرب في الجاهلية، فلمَّا جاء الإسلام أقرَّها وأكَّد أمرها وجعلها من مكارم الأخلاق(١).

الحديث السادس عشر والمائة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**طَهُورُ كلِّ أَدِيمٍ دِبَاغُهُ**». رواه أبو بكرٍ الشافعيُّ في "الغيلانيات".

مَيِّتة الحيوان كالخروف ونحوه نجسةٌ، لا يجوز الانتفاع بها، ولا بشيءٍ منها لكن جلدها وهو -الأَدِيم- إذا دُبغ يطهر بالدِّباغ ويجوز استعماله والانتفاع به، ولا يُعارضه حديث: «**لا تنتفعوا من المَيْتة بإهَابٍ ولا عَصَبٍ**». لأنَّ الإهاب -بالكسر- هو الجلد مالم يدبغ، فإذا دُبغ سُمِّي أديمًا.

وقد حصل في هذا الموضوع مناظرةٌ بين إمامين، رواها الرامهرمزيُّ في كتاب "المحدث الفاصل" قال: أخبرنا الساجيُّ، قال: أخبرنا جماعةٌ من أصحابنا: أنَّ الشافعيَّ ناظر إسحاق بن راهويه -وأحمد بن حنبلٍ حاضرٌ- في جلود الميتة إذا دُبغت فقال الشافعيُّ: دِباغها طهورها، واستدلَّ بحديث ميمونة: «**هلَّا أَخذْتُم إِهَابَها فدَبْغتُموه فانتفعتم به**». فقال إسحاق: حديث عبدالله بن عُكَيمٍ: كتب إلينا النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تنتفعوا من المَيْتة بإهابٍ ولا عَصَبٍ**» أشبه أن يكون ناسخًا لحديث ميمونة رضي الله عنها،

---

(١) بل من شعب الإيمان لحديث الصحيحين: «**من كان يؤمن بالله واليومِ الآخِرِ فليكْرِم جَارَهُ، ومن كان يؤمن بالله واليومِ الآخِرِ فليكْرِم ضَيْفَهُ، ومن كان يؤمن بالله واليومِ الآخِرِ فليقل خيرًا أو ليَصْمُتْ**».

لأنه قبل موته بشهرٍ. فقال الشافعيُّ: هذا كتابٌ، وذاك سماعٌ. فقال إسحاق: كَتَبَ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ كسرىٰ وقيصر، وكان حُجَّةً عليهم. فسكت الشافعيُّ.

قلت: أخذ إسحاق وأحمد بن حنبلٍ بحديث ابن عُكَيمٍ، واعتبراه ناسخًا للأحاديث المُصرِّحة بطهارة جلود الميتة بالدِّباغ؛ لأنَّ ابن عُكَيمٍ قال: إنَّ كتاب النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جاءهم بذلك قبل موته بشهرٍ، فتعيَّن كونه ناسخًا.

والواقع أنه ليس بين الأحاديث تعارضٌ حتىٰ يُدَّعي النسخ؛ لما بينَّا آنفًا أنَّ جِلْد الميتة قبل دبغه يُسمَّىٰ إهابًا، ولا يصحُّ الانتفاع به -كما في حديث ابن عُكَيمٍ- لنجاسته، فإذا دُبغ طَهُر وسُمِّي أديمًا جاز الانتفاع به، كما في حديث ميمونة، وحديث الترجمة، ويزيد ذلك وضوحًا حديث ابن عباسٍ «**أيُّما إيهابٍ دُبِغَ فقد طَهُرَ**».

الحديث السابع عشر والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**طُوبى لعيشٍ بعد المَسِيحِ، يُؤْذَنُ للسماء في القَطْرِ، ويُؤْذَنُ في الأرض للنبات، حتَّى لو بَذَرتَ حَبَّكَ على الصَّفا لنبت، وحتَّى يمرَّ الرجلُ على الأسدِ فلا يضرُّه، ويطأ على الحيَّة فلا تضرُّه، ولا تشاحَّ ولا تَحاسُدَ، ولا تَباغُضَ**». رواه أبو سعيدٍ النقَّاش في "فوائد العراقيين".

«بعد المسيح»: عيسىٰ عليه السَّلام، أي بعد نزوله إلىٰ الأرض، وقتله

المسيحَ[١] الدَّجَّال، فيطيب العيش حينئذٍ، ويضع الله البركة في الأرزاق، «**حتى لو بذرت حبَّك على الصَّفا**» بالقصر جمع صفاةٍ، وهي الصخرة الملساء. «**لنبت**» الحبُّ وأثمر، ويضع الأمن على الأرض «**حتَّى يمرَّ الرجل على الأسد فلا يضرُّه، ويطأ على الحيَّة فلا تضرُّه**» وذلك على خلاف العادة في الحيوانات المفترسة، والحشرات السَّامَّة، كما يضع المحبَّة في القلوب فلا تخاصم، «**ولا تشاحَّ**» بين اثنين على شيءٍ.

«**ولا تَحاسُدَ ولا تَباغُضَ**»، ويستمرُّ هذا العيش الطيِّب أربعين سنةً تقريبًا، ثُمَّ يموت عيسى عليه السَّلام، ويُدفن في الروضة الشريفة، بجانب عمر رضي الله عنه، ويتغيَّر الحال إيذانًا بقرب الساعة.

الحديث الثامن عشر والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**طُوبى لمن أَسْلَمَ وكان عَيْشُهُ كَفَافًا**». رواه الرَّازي في "مشيخته".

«**طُوبى**» كلمة مَدْحٍ، أي: طيب وهناء «**لمن أسلم**» لأنه بإسلامه ضمن سعادة الآخرة «**وكان عيشه كَفَافًا**» لا يزيد على حاجته، ولا ينقص عنها وتلك سعادة الدنيا.

---

(١) المسيح الدَّجَّال بالحاء المهملة، ويقال فيه: مَسِيحُ الضَّلالة، كما يقال في عيسى عليه السَّلام: مَسيحُ الهُدىٰ.

وبعض الناس يقول: المسيخ الدَّجَّال بالخاء المعجمة، وهذا شيءٌ لا أصل له، ولم يَرِد في شيءٍ مِن طُرُقِ الحديث.

الحديث التاسع عشر والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عَدَدُ آنيةِ الحَوْضِ كعدَدِ نُجومِ السَّماءِ**». رواه ابن أبي داود في "البعث".

الحوض: نهرٌ أُعطيه نبيُّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم[1] يشرب منه المؤمنون مِن أُمَّته يوم القيامة، مَن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا. وأخبر هذا الحديث أنَّ عدد آنيته كعدد نجوم السماء، وهي آلاف الآلاف، وجاء في أحاديث: أنَّ زواياه سواء، وأنَّ مساحته ما بين صنعاء باليمن، إلىٰ الجابية بالشام، ويطرد عنه المُبتدِعةُ، ومَن علىٰ شَاكِلتهم.

الحديث العشرون والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**عُرَامَةُ الصَّبيِّ في صِغَرِهِ زيادةٌ في عَقْلِهِ في كِبَرِهِ**». رواه أبو موسىٰ المَدِيني في "أماليه"، ورواه الحكيم الترمذيُّ عن عمرو بن معد يكرب.

العَرَامة هي: الشَّراسة، والمراد بها هنا: ميل الصَّبيِّ في طفولته إلىٰ كثرة الحركة واللعب وقِلَّة هدوئه، وذلك يُنمِّي عقله، ويزيد إدراكه في حالة كبره.

الحديث الحادي والعشرون والمائة

عن أبي أيوب رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**عِظَمُ الأَجْرِ عند عِظَمِ المُصيبةِ، وإذا أحبَّ الله قومًا ابتلاهم**». رواه المحامليُّ في "أماليه".

---

(١) وهو الكوثر الذي نزلت فيه (سورة الكوثر)، وقيل غيره.

علىٰ قدر عِظَمِ المُصيبة يعظم أجر الصبر عليها، «**وإذا أحبَّ الله قومًا**» وأراد أن يُعظِم أجورهم ابتلاهم فصبروا، فأعظم لهم الثواب، ومع هذا فالمطلوب من الإنسان أن يسأل الله العافية(١).

الحديث الثاني والعشرون والمائة

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عَرِيشًا كعَرِيشِ موسى، ثَمامٌ وخُشَيْبَاتٌ، والأمر أَعْجَلُ مِن ذلك**». رواه المخلص في "فوائده".

«**عريشًا كعريش موسى**» أي: أبني عريشًا، أي بيتًا من طين مثل بيت موسىٰ. قاله جوابًا لمن اقترح عليه أن يُشيِّد بيته ويُحسن بناءه. «**ثَمام**»: بالفتح نبتٌ ضعيفٌ له خوصٌ يُشدُّ به خصاص البيت.

«**وخُشيبات**» يعمل منها الباب. «**والأمر أَعْجَلُ مِن ذلك**» أي: الموت يعجل الشخص عن أن يتأنَّق في البناء، ولا يدعه حتىٰ يُحصِّل غرضه من الدنيا، بل الأجل يخترم أمانيه.

الحديث الثالث والعشرون والمائة

عن بكر بن عبدالله بن الربيع الأنصاريِّ، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**علِّموا أبناءكم السِّباحة والرِّماية، ونِعْم لهو المؤمنة في بيتها**

---

(١) مرَّ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم برجلٍ يدعو الله أن يرزقه الصبر، فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم : «**سألتَ الله البلاء، فاسأله العافية**». ذلك لأنَّ الصبر علاجٌ للمصائب والبلاء، وليس مقصودًا لذاته.

المغزل[1]، **وإن دعاك أبواك فأجب أُمَّك»**. رواه ابن منذر في "معرفة الصحابة".

«**ونعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل**» يفيد حث المسلمة أن تشغل وقت فرغها في بيتها بما ينفعها، كغزل صوفٍ وخياطة ثوبٍ، ونحو ذلك. «**وإذا دعاك أبواك فأجب أمَّك**» أي: قدِّم إجابتها لضعفها واحتياجها إلى مزيد عناية منك، ولعظم حقِّها عليك، في حَمْلها بك، وما لاقته من المشقَّة في وضعك، ثُمَّ إرضاعك، والقيام على تربيتك، حتى عقلت يمينك من شمالك، وعرفت قَبِيلَك مِن دَبِيرك.

الحديث الرابع والعشرون والمائة

عن أمِّ أنسٍ رضي الله عنها، قالت: قال، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عليكِ بالصَّلاة فإنَّها أفضلُ الجِهادِ، واهجُري المعاصي فإنَّها أفضلُ الهِجْرةِ**». رواه المحامليُّ في "أماليه".

«**عليك**» -بكسر الكاف- خطابٌ لأمِّ أنسٍ. «**فإنَّها أفضلُ الجِهادِ**» بالنسبة للنساء، «**واهجُرى المعاصي فإنَّها أفضلُ الهِجرةِ**» لأنَّ هِجْرةَ الشخص مِن مكانٍ يُعصى الله فيه لا تنفعه إذا لم يهجر المعاصي بقلبه وعمله.

---

(١) وقع السؤال عن هذه الجملة «نعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل» هل وردت في حديث؟ سأل عنها الشريف العدل الرضى السيد الصادق ابن المهدي بن عجيبة، ولا أدري بما أجابه مولانا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه، لأني كنت إذ ذاك في الكُتَّاب قد أشرفت على حفظ القرآن.

الحديث الخامس والعشرون والمائة

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عليكم بالقرآن فاتَّخذوه إمامًا وقائدًا، فإنه كلام ربِّ العالمين الذي هو منه وإليه يعود، فآمنوا بمُتشابهه واعتبروا بأمثاله**». رواه ابن شاهين في "السنة".

«**عليكم بالقرآن**» أي: الزموا تلاوته وتدبَّروا معانيه «**فاتخذوه إمامًا**» تُنفِّذون أوامره، وتجتنبون نواهيه. «**وقائدًا**» أي: سلِّموا له زمام القيادة ليوصليكم إلى الخير والسَّعادة. «**الذي هو منه**» نزل إليكم «**وإليه يعود**» آخر الزمان حين يُرفع من الصدور، ويُمحىٰ مِن المصاحف.

«**فآمنوا بمُتشابهه**» الذي لا يعلمه إلَّا الله، وقولوا آمنَّا به كلٌّ مِن عند ربِّنا، والمتشابه مثل قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩][1] «**واعتبروا بأمثاله**» التي ضربها للناس، أي: خذوا منها عبرةً لأنفسكم تتَّعظون بها.

---

(١) هذا مذهب السَّلف الذين يُمِرُّون هذه الآيات كما جاءت، ويفوضون معناها إلىٰ الله تعالىٰ، مع تنزيهه عن الاتِّصاف بظاهرها لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١].

أمَّا الخَلَف فلا يعتبروها من المتشابه لأنهم يؤوِّلونها بمقتضىٰ قواعد اللغة العربية، فيجعلون الآية الأولىٰ والثانية من باب الاستعارة التمثلية، والآية الثالثة والربعة من باب الاستعارة التصريحية، وأنا أميل إلىٰ هذا، لأنَّ القرآن عربيٌّ فلابُدَّ أن يكون فيه ما في اللغة العربية من كنايةٍ ومجازٍ واستعارةٍ.

الحديث السادس والعشرون والمائة

عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عليٌّ مِنِّي بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنه لانبيَّ بعدي**». رواه أبو بكر المطيري في "جزئه".

«**عليٌّ مِنِّي بمنزلة هارون من موسى**» لأنه خَلَفني في مكَّه حين هاجرتُ بأمر الله، كما خَلَف هارون موسى حين ذهب للمناجاة بأمر الله.

وبعد الهجرة آخيتُ بيني وبينه، فكان أخي، كما كان هارون أخا موسى عليهما السَّلام «**إلَّا أنه لا نبيَّ بعدي**» هذا الاستثناء يفيد أنَّ منزلة عليٍّ من النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثل منزلة هارون في الفضل والعلم والخلافة وفي كلِّ شيءٍ إلَّا في النبوة[١] ويؤخذ منه: أنَّ عليًّا أعلم الصحابة وأفضلهم.

أمَّا الخلافة فقد تولَّاها هارون في حياة موسى فقط، وكذلك عليٌّ -عليه السَّلام- تولَّى الخلافة عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حياته فقط، وبذلك تمَّت المشابهة.

الحديث السابع والعشرون والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عليٌّ يظهر في الجنَّة ككَوْكَب الصُّبح لأهل الدُّنيا**». رواه البيهقيُّ في "فضائل الصحابة".

---

(١) بدليل القاعدة الأصولية المقرَّرة، وهي: «معيار العموم جواز الاستثناء». فكلُّ كلامٍ قَبِلَ الاستثناء -كما هنا- فهو عامٌّ.

خُصَّ عليٌّ -عليه السَّلام- بهذه المنقبة في الجنَّة لامتيازه بالعلم الذي سلَّم له الصحابة تسعة أعشاره، وشاركهم في العشر العاشر كما يقول ابن عباسٍ.

الحديث الثامن والعشرون والمائة

عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«عُودوا المريضَ، واتَّبِعُوا الجَنائزَ، والعِيادة غِبًّا أو رِبْعًا، إلَّا أن يكون مَغْلُوبًا فلا يُعاد، والتعْزِيةُ مَرَّةً»**. رواه البغويُّ في "مسند عثمان".

عيادة المريض واتِّباع الجنائز كلاهما حقٌّ من حقوق المسلم علىٰ أخيه، **«والعِيادةُ غِبًّا»**[1] أي: مرَّةً كل أسبوعٍ، **«أو رِبْعًا»** أي: مرَّةً كل أربعة أيامٍ، **«إلَّا أن يكون مَغْلُوبًا»** لا يَحِسُّ بمَن يزوره ولا يشعر به، **«فلا يُعاد»** لفقدان فائدة العيادة.

«والتعزية مرَّةً» لأنَّ تكرارها عبثٌ، مع تجديدها الحزن لأهل الميت.

الحديث التاسع والعشرون والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: **«العلماءُ أُمَناءُ الرُّسُل مالم يُخالطوا السُّلطان ويُداخِلُوا الدُّنيا، فإذا خَالَطُوا السُّلطانَ ودَاخَلُوا الدُّنيا فقد خانوا الرُّسُلَ فاحْذَروهم»**. رواه الحسن بن سفيان في "مسنده".

«العلماء» في كلِّ أُمَّةٍ **«أُمناءُ الرُّسُل»** علىٰ شرائعهم. كذلك علماء هذه الأُمَّة

---

(١) غِبًّا بكسر الغين المعجمة وتشديد الباء الموحدة وهو منصوب خبر تكون المقدَّر.

أُمناء النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. «**مالم يُخالطوا السلطان**»[١]. ومشوا في ركابه «**وداخلوا الدنيا**» طلبًا للتنعيم بها والاستكثار منها «**فقد خانوا الرُّسُل**» في الأمانة التي حمَّلوهم إيَّاها «**فاحذروهم**» ولا تثقوا بهم لأنَّ مُخالطة الحُكَّام ومُداخلة الدنيا، تحملانهم علىٰ المخاطرة بدينهم، في سبيل الوصول الىٰ مصالحهم.

(تنبيه): روىٰ الديلميُّ في "مسند الفردوس" عن عمر مرفوعًا: «**إنَّ الله يُحبُّ الأُمَرَاء إذا خالطوا العُلماءَ، ويَمْقَتُ العُلماءَ إذا خالطوا الأُمَرَاءَ؛ لأنَّ العُلماءَ إذا خالطوا الأُمَرَاءَ رَغِبُوا في الدُّنيا وإذا خالطهم الأُمَرَاءُ رَغِبوا فى الآخرة**».

وجاء في "طبقات الحنفية" في ترجمة الفقيه عليِّ بن الحسن بن عليٍّ الصندليِّ: أنَّ السلطان ملك شاه، قال له: لِمَ لا تجيء إليَّ؟ قال: لأني أردت أن تكون من خير الملوك حيث تزور العلماءَ، ولا أكون مِن شرِّ العلماءِ، حيث أزور الملوكَ.

الحديث الثلاثون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**العَيْنُ حقٌّ يَحْضُرُها الشَّيطانُ وحَسَدُ ابنِ آدمَ**». رواه الكجيُّ في "سننه".

«**العين حقٌّ**» تُصيب المَعْيُون وتُؤذيه، وفي رواية عند أبي داود من حديث أسماء بنت يزيد: «**وإنَّها لتُدْرِكُ الفَارِسَ فتُدَعْثِرُه**» أي: تهدمه. «**يحضرها**

(١) هنا نقصٌ سقط من الناسخ وتمامه: أي الحاكم «ويداخلوا الدنيا» مستكثرين من شهواتها وزخارفها «**فإذا خالطوا السلطان**».

الشَّيطانُ» أي: إغواؤه «**وحَسَدُ ابنِ آدمَ**» قال الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

وممَّا ينفع لعلاج المُصاب بالعين: أن يوضع ماءٌ في إناءٍ نظيفٍ، ويُسقى منه ويُغسل به ويُلقَّن هذا القول: حَبَسَ حَابِس بشِهَابٍ قَابِس، رُدَّتْ العينُ مِن العَائِن إليه، وإلى أحبِّ النَّاس عليه ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ - ٤]، ثُمَّ يقرأ (الفاتحة)، و(آية الكرسيِّ).

الحديث الحادي والثلاثون والمائة

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الغُدُوُّ والرَّوَاحُ في تعليم العِلْمِ أفضلُ مِن الجِهادِ في سبيل الله**». رواه أبو مسعودٍ الأصبهانيُّ في "معجمه".

إنما كان تعليم العلم أفضل من الجهاد في سبيل الله؛ لأنَّ العلم تُعرف به أحكام الشريعة: من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحَجٍّ وجهادٍ ومعاملاتٍ، فهو يُنَوِّرُ عقول النَّاسِ، ويُعرِّفهم كيف يعبدون الله عبادةً صحيحةً، وكيف يُباشرون أعمالهم في التجارة والزراعة وغيرهما، في السِّلم وفي الحرب على وجهٍ سليمٍ مِن الخطأ.

الحديث الثاني والثلاثون والمائة

عن الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام، قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الغِلُّ والحَسَدُ يأكلان الحَسَناتِ كما تأكل النَّار الحَطَب**». رواه ابن صهري في "أماليه".

«**الغِلُّ**» بالكسر: هو الحِقْدُ الدَّفين في القلب، ينشأ عنه الحسد، وهو تمنِّي زوال النِّعمه عن غيره. قال بعض المفسِّرين في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]: ما بَطَنَ هو الحَسَدُ.

ومِن علامات الحَسَد -كما قال بعض العلماء-: «أنَّ يتملَّق إذا حَضَر، ويَغْتابَ إذا غاب، ويَشْمَتَ بالمصيبة إذا نزلت». وقال معاوية: «ليس في خِلال الشَّرِّ خِلَّةٌ أعدل مِن الحسد؛ تقتل الحاسد قبل المَحْسُود».

الحديث الثالث والثلاثون والمائة

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الغِنَى: الإياسُ ممَّا في أيدي النَّاس، وإيَّاك والطَّمع فإنَّه الفَقْرُ الحاضر**». رواه العسكريُّ في "المواعظ".

«**الغِنى الإياسُ ممَّا في أيدي النَّاس**»، والقناعة بما أعطاك الله تعالىٰ. قال بعض المفسِّرين في قوله تعالىٰ: ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ [الحج: ٥٨] يعني: القناعة. وقيل: وضع الله تعالىٰ خمسة أشياء في خمسة مواضع: العزُّ في الطاعة، والذلُّ في المعصية، والهيبة في قيام الليل، والحكمة في البطن الخالي، والغنىٰ في القناعة.

مَرَّ أبو حازمٍ -التابعيُّ المشهور- بجزَّارٍ ومعه لحمٌ سَمينٌ، فقال: خذ يا أبا حازمٍ فإنه سمينٌ. فقال: ليس معي درهم. فقال: أنا أُنظِرك. فقال: نفسي أحسن نَظِرةً لي منك.

وهذا أصل المثل السائر بين الناس هنا: «صَبْري علىٰ نفسي، ولا صَبْر

الجزّار عليّ»[١].

وقيل لأبي يزيد البِسْطاميِّ: بِمَ وَصَلْتَ إلى ما وَصَلْتَ؟ فقال: جمعتُ أسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة، ووضعتها في منجنيق الصِّدق، ورميت بها في بحر اليأس، فاسترحتُ.

«**وإيَّاك والطمع فإنه الفقر الحاضر**» لأنَّ الرجل لا يزال غنيًّا عزيزًا ما دام قانعًا بما عنده، عازفًا عمَّا عند الناس، فإذا لاح له شيءٌ من الدنيا وطمع في نيله زال عنه عِزُّه، وفارقه غِناه، وصار ذليلًا فقيرًا.

قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ يعني: البخل والطمع، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] يعني: بالسخاء والإيثار.

رأى رجلٌ حكيمًا يأكل ما تساقط مِن البَقْل على رأس ماءٍ، فقال له: لو خدمتَ السُّلطان لم تَحتَجْ إلى أكل هذا. فقال الحكيم: وأنت لو قنعت بهذا لم تَحتَجْ إلى خِدْمة السلطان.

---

(١) ودخل مالك بن دينارٍ على محبوسٍ قد أُخذ بمالٍ عليه وقُيِّد، فقال المحبوس: يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود؟ فرفع مالكٌ رأسه فرأى سلة، فقال: لمن هذه؟ فقال المحبوس: هي لي. فأمر بها أن تنزل، فإذا فيها دجاج وأخبصة، فقال مالكٌ: هذه وَضَعَتْ القيودَ في رجلك، يعني: أنه لو قَنَع بالمتيسِّر مِن الأكل، ولم يطمح بصره إلى الدَّجاج ونحوها من فاخر الأطعمة لما كان لأحدٍ عليه مالٌ يُطالبه به، ويُحبس مِن أجله.

الحديث الرابع والثلاثون والمائة

عن أبي سعيدٍ، وأبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فاتحةُ الكتابِ شِفاءٌ مِن السُّمِّ**». رواه أبو الشيخ ابن حيان.

سبب هذا الحديث: أنَّ جماعةً من الصحابة مَرُّوا بحيٍّ من العرب، واستضافوهم فلم يُضيِّفوهم، ولُدغ رئيس الحيِّ تلك الليلة، فأتوهم وقالوا: هل فيكم مِن راقٍ؟ فإنَّ سيِّدنا قد لُدغ، وعالجناه فلم يَنْجَع العلاج. فقال أبوسعيدٍ: أنا أرقي، ولكنَّكم لم تُضيِّفونا، فلا أرقيه إلَّا علىٰ جُعْلٍ. فاتفقوا معه علىٰ قطيعٍ من الغنم، فذهب فرقَاه بفاتحة الكتاب، قرأها عليه ثلاث مرَّاتٍ، فقام سَليمًا كأنما نَشِط مِن عِقَال، فأعطوه قطيعًا مِن الغَنم ما بين ثلاثين إلىٰ مائةٍ، فقال الصحابة الذين معه: أخذت علىٰ كتاب الله أجرًا؟! وامتنعوا أن يأكلوا منها، فلما وصلوا إلىٰ المدينة أخبروا النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بذلك فقال لأبي سعيدٍ: «**مَن أنبأك أنها رُقْيةٌ؟**» ثُمَّ قال: «**اضربوا لي معكم بسَهْمٍ**». وقال: «**إنَّ أحقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**». ثُمَّ ذكر أنها شِفاءٌ مِن السُّمِّ.

وقد ذكرتُ التداوي بها وبغيرها من سور القرآن وآياته في كتاب "كمال الإيمان في التداوي بالقرآن" وهو الكتاب الذي ألفته ردًّا علىٰ الشيخ محمود شلتوت.

الحديث الخامس والثلاثون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كان أول مَن أَضَافَ الضَّيفَ إبراهيمُ**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "قرىٰ الضيف".

الضِّيافة: مِن خصال مكارم الأخلاق، لما فيها من الرِّفق بالقادم بإراحته

من تَعبِ الطريق، وإطعامه من الجوع، وإروائه من الظمأ، وتمكينه من تغيير ملابسه، وقضاء ما يحتاج إليه من بضاعة يريد شراءها، وزيارة مكان يقصده لمصلحة له، وكان أول مَن سَنَّ الضِّيافة إبراهيم عليه السَّلام، وقد شهد الله له بكرم الضِّيافة في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]. وكان إذا أراد الغداء مشىٰ ميلًا أو ميلين حتَّىٰ يعثر علىٰ ضيفٍ يتغدَّىٰ معه.

وقال بعض العلماء: استضاف إبراهيم -عليه السَّلام- مجوسيًّا، فقال بشرط أن تُسلم، فذهب المجوسيُّ، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ إبراهيم: نحن نُطعمه منذ خمسين سنةً علىٰ كُفْرِه، فلو ناولته لقمةً مِن غير أن تُطالبه بتغير دينه. فذهب في أثر المجوسيِّ حتَّىٰ أدركه، واعتذر إليه، فسأله عن السَّبب، فذكر ذلك له فأسلم المجوسيُّ.

قلت: كذلك خَصَّ إبراهيم المؤمنين مِن أهل مكَّة بدعائه لهم بالرزق حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦] لكن الله أخبره أنه يرزق الكفار منهم أيضًا: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

الحديث السادس والثلاثون والمائة

عن جابرٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كفى بالمرء شرًّا أن يَتَسَخَّط ما قُرِّب إليه**». رواه أبو الحسين بن بشران في "أماليه".

ليس من حقِّ الضَّيف، ولا مِن الأدب اللائق به أن يعيب طعامًا يُقدِّمه إليه أهل المنزل، فإن فعل!! دلَّ ذلك علىٰ دناءة نفسه، ورَدَاءةِ خُلُقه، وكفىٰ بهما شرًّا.

الحديث السابع والثلاثون والمائة

عن عزَّة بنت أبي قِرْصَافة[1]، عن أبيها -رضي الله عنه- قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أراد الله بقومٍ خيرًا أَهْدَى إليهم هَديَّةً**» قالوا: يا رسول وما تلك الهديَّة؟ قال: «**الضَّيفُ ينزل برزْقِهِ، ويَرتَحِلُ وقد غَفَرَ الله لأهل المنزلِ**». رواه أبو الشيخ في كتاب "الثواب".

يفيد الحديث أنَّ حلول الضيف بقومٍ دليلٌ على حبِّ الله لهم، وأنه يرزقهم ما يقدِّمونه لذلك الضيف، ويغفر لهم ذنوبهم إذا أحسنوا ضيافته، وفي هذا فضلٌ كبيرٌ للضيافة، وحثٌّ على القيام بها، وقد قال أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: «زكاة الدار أن يُتَّخذ فيها بيتٌ للضيافة».

ويُروى أنَّ أمير المؤمنين عليًّا -رضي الله عنه- بكى يومًا فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: «لم يأتِني ضيفٌ منذ سبعة أيامٍ، وأخاف أن يكون الله تعالى قد أهانني».

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يقال: أربعة لا ينبغي للشريف أن يأنف منها: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته للضيف، وخدمته لعالم يتعلَّم منه، والسؤال عمَّا لا يعلم.

وقيل في معنى قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٤]: قيامه عليهم بنفسه.

---

(١) بكسر القاف وسكون الراء، وهو صحابيٌّ فاضلٌ أُسِر ابنه في بعض الغزوات لبلاد الروم، فكان إذاحضر وقت الصَّلاة ناداه من الشام: الصلاة يا قِرْصافة، فيُجيبه ابنه من بلاد الروم: نعم يا أبتاه. فيسأله الأسرى الذين معه: مَن تُكلِّم؟ فيقول أبي يُنادي من الشام يُعْلِمُني بوقت الصَّلاة.

الحديث الثامن والثلاثون والمائة

عن أمِّ سلمة أمِّ المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كثرة الحَجِّ والعُمْرةِ تَمنعُ العَيْلة**». رواه المحامليُّ في "أماليه".

العَيْلة: الفقر. وإنما كان الحجُّ والعُمْرةُ يمنعان الفقر؛ لأنَّ النفقة فيهما تُضاعف بسبعمائة، وهو رِبْحٌ يضمن لصاحبه الغِنىٰ والثَّراء.

الحديث التاسع والثلاثون والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كفَّارة مَن اغتبتَ أن تستغفر له**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الصمت".

إذا اغتبتَ شخصًا بأن ذكرته بأمر يكرهه، فكفَّارة ذلك أن تستغفر له[1]؛ لأنَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**وأتْبع السيِّئةَ الحَسَنةَ تَمْحُها**». فالاستغفار للشخص يمحو غيبته.

الحديث الأربعون والمائة

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كلمات الفرج: لا إله إلَّا الله الحليم الكريم، لا له إلَّا الله العليُّ العظيم، لا إله إلَّا الله ربُّ السَّماوات السَّبع، وربُّ العَرْشِ الكريم**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الفرج".

هذه الكلمات إذا كرَّرها الشخص وهو في شِدَّةٍ أو ضيقٍ فرَّج الله عنه؛ لأنها

---

(١) كان أبو هريرة -رضي الله عنه- إذا رأىٰ شخصًا يستثقله، قال: اللهمَّ اغفر له وأَرِحْنا منه.

تُثني علىٰ الله بوحدانيَّته، وحِلْمِه وكَرَمِه، وعُلُوِّه وعظمته، وربوبيته لأعظم المخلوقات وهو العرش، والله تعالىٰ يحبُّ الثَّناء، ويُعطي عليه ما يُعطي علىٰ الدُّعاء وأكثر.

الحديث الحادي والأربعون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لله أفرح بتوبة عبده، مِن العَقِيم الوالد، ومِن الضَّالِّ الواجد، ومِن الظَّمآن الوارد**». رواه ابن عساكر في "أماليه".

العقيم الذي يَيْأس مِن الخَلَف، ثُمَّ يُفاجأ بمولودٍ يولد له يكون فرحه شديدًا، لا يمكن التعبير عنه، والمسافر يضلُّ راحلته عليها طعامه وشرابه، ويبحث عنها فلا يجدها، ويستسلم للهلاك، ثُمَّ يجدها بعد أن عاين الموت لا تسعه الدنيا من الفرح والغِبطة، والظمآن الذي كاد يقتله العطش في يومٍ شديد الحرِّ؛ يَرِدُ عين ماءٍ عَذْبٍ باردٍ، يجد من الفرح ما لا يمكن وصفه. فالله تعالىٰ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده من هؤلاء، وهذا يدلُّ علىٰ فضل التوبة وعِظَمِ قَدْرها.

الحديث الثاني والأربعون والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لولا المرأة لدخل الرجلُ الجنَّة**». رواه الثقفيُّ في "الثقفيات".

المرأة مَثارُ فتنةٍ للرجل، تُهلكه وتُهلك نفسها معه، لأنها إن كانت أجنبيةً عنه حَمَلته للشهوة علىٰ قربانها، فيقع في الإثم الكبير، وإن كانت زوجته حمَّلته مِن المطالب ما لا يطيق، فيضطرُّ إلىٰ السرقة، أو الغشِّ، أو أي وسيلةٍ مُحرَّمة

للحصول على المال الذي يكفي لإجابة مطالبها، وإرضاء نزواتها، وفي ذلك حتفه وهلاك دينه.

وجاء في حديثٍ عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فُضِّلتُ على آدم بخصلتين: كان شيطان آدم كافرًا، وكان شيطاني مسلمًا. وكانت زوج آدم عونًا عليه، وكنَّ زوجاتي عونًا لي**». وهاتان الخصلتان من خصائصه عليه السَّلام.

الحديث الثالث والأربعون والمائة

عن أنسٍ أيضًا رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليكوننَّ في هذه الأُمَّة خَسْفٌ وقذْفٌ ومَسْخٌ، وذلك إذا شربوا الخُمُور، واتَّخذوا القِينات، وضربوا بالمعازف**». رواه ابن أبي الدنيا في "ذمِّ الملاهي".

يكون في آخر الزمان قذفٌ بالحجارة من السماء، وخسفٌ لبعض المدائن ومَن فيها، ومسخٌ لبعض الناس على صورة القِرَدة، وذلك إذا شربوا الخمور مستحلِّين لها، مُعلنين شربها، واتخذوا المغنِّيات تُغنِّيهم في الحفلات والمجتمعات.

«**وضربوا بالمعازف**»: آلات الطرب، كالعود والكمان والقانون والبيانو ونحو ذلك، لأنَّ الإنسان إذا شرب الخمر، وامتلأ سمعه بأصوات المُغنِّيات، ممزوجًا بآلات اللهو والطرب لم يبقَ في قلبه محلٌّ لتدبُّر القرآن، وسماع ما فيه من عِظاتٍ وعِبَرٍ، وقلبٌ لا يدخله قرآنٌ حَرِيٌّ ألَّا يكون فيه إيمانٌ، وصار صاحبه مستحقًّا لأن يصيبه عقاب مِن الله، إمَّا بخسفٍ أو قذفٍ أو مسخٍ، نسأل الله العافية.

الحديث الرابع والأربعون والمائة

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهو في ثلاثٍ: تأديب فرسك، ورَمْيك بقوسك، ومُلاعبتك أهلك**». رواه القراب في كتاب "فضل الرمي".

اللهو المأذون فيه يكون في ثلاث خصالٍ:

أولاها: تأديب الفرس: أي تمرينه علىٰ السَّبق، والكرِّ والفرِّ، استعدادًا للجهاد في سبيل الله.

ثانيتها: الرمي بالقوس وما في معناه مِن المسدَّس والبندقية والرشَّاش تدرُّبًا علىٰ إصابة الهدف، استعدادًا للجهاد أيضًا.

ثالثتها: ملاعبة الرجل امرأته فإنها تديم الأُلفة بينهما، ولمَّا سأل النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جابرًا «**هل تزوجت؟**» قال: نعم، تزوَّجتُ ثيِّبًا. فقال له النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هلَّا تزوَّجتَ بِكْرًا تُلاعبها وتُلاعبك وتعضُّها وتَعضُّك**». والإذن في مزاولة هذه الثلاث يصدق بطلبها، فهي مُرغَّبٌ فيها، بل تصل في بعض الحالات إلىٰ حدِّ الوجوب

الحديث الخامس والأربعون والمائة

عن جابرٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ماء زمزم لِما شُرب له، مَن شربه لمرضٍ شفاه الله، أو لجوعٍ أشبعه الله، أو لحاجةٍ قضاها الله**». رواه المستغفريُّ في "الطب".

في هذا الحديث خلافٌ، والرَّاجح صحَّته؛ فقد صحَّحه سفيان بن عُيَيْنَة،

وأفرد جزءًا لتصحيحه كلٌّ من الحافظ المنذريِّ، وتلميذه الحافظ الدمياطيِّ، وكذا أفراد شيخنا أبو عبدالله محمَّد بن إدريس القادريُّ -رحمه الله- في تصحيحه جزءًا سمَّاه: "إزالة الدهش والوَلَه عن صحَّة حديث ماء زمزم لما شُرب له" قرأته وهو مطبوعٌ.

ودلَّ علىٰ صحَّته التجربة الصادقة فقد جرَّبه جماعةٌ مِن الكبار، كما قال الحافظ السخاويُّ، وثبت في "صحيح مسلم" عن أبي ذرٍّ -رضي الله عنه-: أنه مكث عِدَّة أيامٍ بمكَّة في أول البعثة النبوية -لَمَّا جاء ليُسلم- ولا طعام له ولا شراب إلَّا ماء زمزم قال: فسَمِنتُ حتىٰ تكسَّرت عُكَن[1] بطني.

وثبت في حديثٍ حسنٍ: أنَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كتب إلىٰ سُهيل بن عمرٍو بمكَّة: «**إن وصل كتابي ليلًا فلا تصبحنَّ أو نهارًا فلا تمسينَّ حتى تبعث إلي بماء زمزم**». فبعث له بمزادتين وهو بالمدينة قبل فتح مكَّة.

وأخبرت عائشة -رضى الله عنها-: أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يَصبُّ منه علىٰ المرضى ويسقيهم.

ومَّمن شرب منه بنية العلم والتقوىٰ عبدالله بن المبارك، وسفيان بن عُيينه، والحافظ ابن حجر[2] وغيرهم كثيرٌ.

ويذكر العارف الشعرانيُّ: أنه لما حجَّ شرب ماء زمزم بنية قضاء بضع

---

(١) بضم العين وفتح الكاف يقصد أنه شبع مِن شُرْبِ ماء زمزم حتىٰ عظم بطنه، وتثنَّىٰ من فرط السِّمِن.

(٢) شرب منه بنية أن ينال رتبة البيهقيِّ في الحفظ، فنالها وزاد عليها بكثيرٍ.

وخمسين حاجةً من حوائج الدنيا والأخرة، فقضىٰ الله له حوائج الدنيا كلها، ومن جملتها خُرَّاجٌ تحت إبطه بقدر البطيخة، أتعبه وتعب الأطباء في علاجه حتىٰ أذهبه الله ببركة ماء زمزم.

وكان ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- إذا نزل به ضيفٌ أتحفه بماء زمزم، وروىٰ الأزرقيُّ في "تاريخ مكة" من طريق رجلٍ من الأنصار، عن أبيه، عن جدِّه مرفوعًا: «**علامة ما بيننا وبين المنافقين أن تُدلوا دلوًا مِن ماء زمزم فتضلَّع منها، ما استطاع منافقٌ قطُّ يتضلَّع منها**». وروىٰ الأزرقيُّ أيضًا عن الضَّحَّاك بن مزاحم قال: بلغني أنَّ التضلُّع من ماء زمزم براءةٌ من النفاق، وأنَّ ماءها يُذهب الصُّداع، والاطِّلاع فيها يجلو البصر.

الحديث السادس والأربعون والمائة

عن عليٍّ عليه السلام، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما أخاف على أُمَّتي فتنةً أخوف عليها من النِّساء والخمر**». رواه يوسف الخفاف في "مشيخته".

يُشير الحديث إلىٰ معجزةٍ من معجزات النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الإخبار بالغيبيَّات. ذلك أنه ليس المراد به الإخبار بكثرة الزِّنا وشرب الخمر كما قد يتبادر لأول وهلة، فإنَّ هذا مع كونه كبيرةً ليس فيه فتنةٌ، ولكن الحديث يريد بالفتنة ما ظهر في هذه الأزمان المتأخِّرة من التحايل علىٰ إباحة الزِّنا وإباحة الخمر، فهذه هي الفتنة التي خافها النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أُمَّته، إذ يُقدمون علىٰ المعصية معتقدين إباحتها فيُصرُّون عليها ولا يتوبون

منها، لأنَّ المباح لا يُتاب منه، أمَّا التحايل على إباحة الزِّنا ففي صورتين:

إحداهما: أن يقول الرجل للمرأة: هبي لي نفسك على صداقٍ قدره ربع دينارٍ مثلًا. فتقول ذلك، ويأتيها بناء على أنها حلَّت له وصارت زوجته، وبعد انتهاء العملية الجنسية يقول لها: طلقتك. وهذا النوع شائعٌ في مصر، وسبب شُيوعه تجويز الحنفية للمرأة الرشيدة أن تعقد عقد الزواج على نفسها، وتجويزهم أيضًا عقد النكاح بلفظة الهبة مع أنَّ القرآن مصرِّحٌ بتخصيصه بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[1].

والأخرى: أن يشتري الرجل جاريةً بكرًا أو ثيِّبًا، ويستفرشها لأنها صارت بالشراء ملك يمينه، وأبيحت بنصِّ قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ [المؤمنون: ٦]. وهذا النوع شائعٌ في السعودية والمغرب، وهو زنًا لا شك فيه، وإدخاله في نصِّ الآية تحريفٌ لكلام الله، وتحايلٌ مكشوفٌ لتحليل ما حرَّم الله؛ لأنَّ الجارية التي تُباع هي حرَّةٌ خُطفت من أهلها وذويها، فبيعها حرامٌ بل كبيرةٌ، وبائعها لا ينظر الله إليه يوم القيامة غضبًا عليه، كما ثبت في الصحيحين، وبعض علماء المغاربة أفتى بجواز امتلاك هذه الجارية إذا كان في أجدادها من ضُرب عليه الرقُّ، أو كان كافرًا، وهذه فتوى باطلةٌ قصد صاحبها إرضاء تُجَّار فاس وأغنيائها الذين يشترون الجواري، ويأخذونهن

---

(١) حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ولهذا جعل العلماء من خصوصياته -عليه الصَّلاة والسَّلام- صحَّة الزواج بلفظ الهبة، وبدون الصَّداق.

معهم إلىٰ أماكن تجارتهم في انجلترا وفرنسا وغيرهما خوفًا من الوقوع في الزِّنا!

وكيف يعرف أنَّ في أجداد الجارية من ضُرب عليه الرقُّ؟! ذلك يتوقَّف علىٰ معرفة نسبها والبحث عنه في كتب الأنساب، ثُمَّ المقرَّر شرعًا أنَّ الرقيق يتبع أُمَّه لا أباه ولا جدَّه، فلو تزوَّج حُرٌّ أمةً فولده منها رقيقٌ لسيِّدها، وليس كلُّ كافرٍ يحلُّ استرقاقه، بل هناك شروطٌ لجواز استرقاق بعض الكفَّار في الجهاد.

وأمَّا التحايل علىٰ إباحة الخمر فقد فتح بابه الحنفية ففرَّقوا بين المُسْكِر من العنب، ومن غيره، وبين ما اشتدَّ غليانه، وما لم يشتد، وذكروا تفصيلات سهَّلت للناس شرب أنواعٍ من الخمر، كالبيرة وغيرها، مع أنَّ عمر -رضي الله عنه- حين تكلَّم علىٰ المنبر في آية (المائدة)، وذكر ما يتخذ من العنب ومن التمر والذرة قال: «والخمر ما خامر العقل»[1].

الحديث السابع والأربعون والمائة

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«ما كَرَبني أمرٌ إلَّا تمثَّل لي جبريل فقال: يا محمَّد، قل: توكَّلتُ على الحيِّ الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتَّخذ ولدًا ولم يكن له شريكٌ في الملك، ولم يكن له وليًّا من الذلِّ وكبِّره تكبيرًا»**. رواه ابن صهري في "أماليه".

«ما كَرَبني أمرٌ» وفكَّرت في الخلاص منه **«إلَّا تمثَّل لي جبريل»** رجلًا يكلِّمني **«فقال: يا محمَّد، قل: توكلت على الحيِّ الذي لا يموت»** وكفىٰ به

(١) فقطع الطريق علىٰ تلك التفصيلات التي أبداها الحنفية لعدم معرفتهم اللغة العربية.

وكيلًا يدفع عنك الأسواء والأدواء «**والحمد لله الذي لم يتَّخذ ولدًا**» لتنزُّهه عنه، قال تعالىٰ مُنكِرًا علىٰ المشركين الذين نسبوا إليه الولد: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] يعني: زوجة.

وفي التعبير بصاحبة نكتةٌ لطيفةٌ: لأنَّ الزوجة تُشاكل الزوج وتثنيه، والله تعالىٰ لا يُشاكله أحدٌ كما لا يثنيه -أي لا يكون له ثانيًا أحدٌ- فكان التعبير بصاحبة إشارةً إلىٰ نفي المشاركة والتثنية عنه، لاستحالتهما في حقه تعالىٰ. «**ولم يكن له شريكٌ في الملك**» يقدر أن يُلحق ضررًا بأحدٍ من خلقه، أو يوصل إليه نفعًا. «**ولم يكن له وليٌّ**» ينصره «**مِن الذلِّ**» أي: لا يلحقه ذلٌّ ولا ولي له «**وكبِّره تكبيرًا**» أي: عظِّمه تعظيمًا يليق بكماله، وهذه الآيه جاء في حديثٍ تسميتها بآية العزِّ، لأنَّ مَن داوم علىٰ تلاوتها أورثه الله عِزًّا، ويؤخذ من الحديث أمران:

أحدهما: عناية الله بنبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام، حيث يبعث إليه جبريل -عليه السَّلام- كلَّما كَرَبه أمرٌ يلقِّنه ما يدفع عنه الكَرْب.

والآخر: أنَّ خاصيَّة ذلك الكلام رفع الكَرْب عمَّن قاله. والله تعالىٰ أعلم.

الحديث الثامن والأربعون والمائة

عن قيس بن سعدٍ رضى الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن لم يوصِ لم يُؤْذَن له في الكلام مع الموتى**». رواه أبو الشيخ في كتاب "الوصايا".

الوصيَّة نوعان:

واجبةٌ: كأن يكون علىٰ الشخص حقوقٌ لله تعالىٰ، مثل كفَّارة اليمين

ونحوها، أو زكاة لم يخرجها، أو نذر لم يفِ به، أو يكون عليه حقٌّ لآدمي مثل دين أو دية، أو ما أشبه ذلك.

فيجب عليه أن يكتب وصيَّته، يُبيِّن فيها ما عليه لله أو للناس ليؤديها الورثة من ثلث ماله إذا مات، فإن لم يوصِ كان آثمًا، وعُوقب في قبره بأن لا يؤذن له في الكلام مع الموتىٰ زائدًا علىٰ عقابه يوم القيامة، وعلىٰ هذا يتنزَّل الحديث.

ووصيةٌ مندوبةٌ: كأن يوصي الشخص عند موته بإنفاق بعض ماله في وجوه من الخير.

وهناك **وصيَّةٌ محرَّمةٌ** يُعاقب صاحبها عند الله تعالىٰ وهو: أن يوصي بحرمان بعض الورثة من الميراث مثلًا.

الحديث التاسع والأربعون والمائة

عن عمرو بن الحارث: أنَّ رجلًا دعا عبدالله بن مسعودٍ -رضى الله عنه- إلىٰ وليمةٍ فلمَّا جاء ليدخل سمع لهوًا فلم يدخل، فقيل له، فقال: إني سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن كثَّر سواد قومٍ فهو منهم، ومَن رضي عمل قومٍ كان شريك مَن عمل به**». رواه ابن معبد في كتاب "الطاعة والمعصية" من طريق ابن وهب، عن بكر بن مضر، عن عمرو بن الحارث.

الوليمة هي: الطعام الذي يُعمل لمناسبة الزواج، وإجابة الدعوة إليها واجبةٌ إلَّا إذا كان فيها منكرٌ فلا تجب كما هنا، فإنَّ ابن مسعود لما سمع لهوًا رجع ولم يدخل واستدل بالحديث.

ومعناه: أنَّ من انضمَّ إلىٰ قومٍ وكثَّر جمعهم بأن صار عاشرهم إن كانوا تسعةً مثلًا كان منهم فيما هم فيه، فإن كانوا في طاعةٍ، كان مُثابًا مثلهم، وإن كانوا في معصية كان معاقبًا كذلك. وإن من رضي عمل قومٍ كان شريك من عمل به الثواب أو العقاب، وإن لم يحضر ذلك العمل لأنَّ الرِّضا به يقوم مقام فعله.

الحديث الخمسون والمائة

عن عائشة رضي الله عنها، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الحمد لله إنَّ الأرواح جنودٌ مُجنَّدةٌ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**». رواه الزبير بن بكَّار في كتاب "المزاح والمفاكهة".

روىٰ الزبير في الكتاب المذكور من طريق عليٍّ بن أبي علي اللهبي، عن ابن شهابٍ الزهريِّ، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها: أنَّ امرأةً من أهلِ مكةَ كانت تدخل علىٰ نساء قريشٍ تُضحكهنَّ فلما هاجرن ووسَّع الله، دخلت المدينة، قالت عائشة: فدخلت عليَّ فقلت لها: فلانةٌ ما أقدمك؟ قالت: إليكنَّ. قلتُ: فأين نزلت؟ قالت: علىٰ فلانةٍ إمرأة تضحك بالمدينة. قالت عائشة: ودخل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**فلانة المُضحكة عندكم؟**» قالت: نعم، فقال: «**فعلى من نزلت؟**» قلت: علىٰ فلانةٍ المضحكة. فقال: «**الحمد لله، إنَّ الأرواح جنودٌ مُجنَّدةٌ**». الحديث.

ومعناه: أنَّ الشخص يألف مثله في عمله، وينجذب إليه كما قال الشاعر: «شبيه الشيء مُنجذِبٌ إليه».

وروىٰ العسكريُّ في "الأمثال" بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن مسعودٍ مرفوعًا: «**الأرواح جُنودٌ مُجَنَّدةٌ، تلتقي فتتشامٌّ كما تتشامُّ الخيل، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فلو أنَّ رجلًا مؤمنًا جاء إلى مجلسٍ فيه مائة منافقٍ وليس فيه إلَّا مؤمنٍ لجاء حتى يجلس إليه، ولو أنَّ منافقًا جاء إلى مجلسٍ فيه مائة مؤمنٍ وليس فيه إلَّا منافقٌ لجاء حتى يجلس إليه**».

وروىٰ أبو نعيمٍ في "الحلية" في ترجمة أويسٍ القَرَنيِّ: أنه لما اجتمع به هَرَم بن حيَّان العبديُّ ناده باسمه فقال له هَرَم: من أين عرفت اسمي، واسم أبي؟ فوالله ما رأيتك قط ولا رأيتني! قال له أويسٌ: عرف روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك؛ لأنَّ الأرواح لها أنفسٌ كأنفس الأجساد، وإنَّ المؤمنين يتعارفون بروح الله وإن نأت بهم الدار، وشطَّت بهم المنازل وقال الشاعر:

بينـــي وبينـــك في المحبَّـــةِ نِسْـــبَةٌ مَسْـــتورةٌ عـــن سِرِّ هـــذا العـــالمِ
نحـــن اللـــذان تَحابَبـــتْ أرواحنـــا مِـــن قبـــل خَلْـــقِ الله طينـــةِ آدم

خاتمة

هذا آخر كتاب "الغرائب والوحدان" وهو يشتمل علىٰ أحاديث مُختارة فيها آدابٌ وأخلاقٌ وأحكامٌ وحِكَمٌ ومواعظ، كما أنَّ فيه أحاديث قلَّ من يعرفها من أهل الحديث بل غيرهم، وذلك لوجودها في أجزاء حديثية عزيزة المنال، عديمة المِثال.

واللهُ المسئول أن يجعل نفعه دائمًا جاريًا، ويكون ثوابه معي في قبري ثاويًا، ببركة خاتم أنبيائه، وسيِّد أصفيائه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدِّين، والحمد لله ربِّ العالمين.

٥- الأحاديثُ المُخْتَارَةُ في الأَخْلاقِ والآدَابِ المُسمَّى "الغَرائِبُ والوِحْدان"